

عمر النور

مختارناك

عمر النور

نورنايك

اسد العدل أنه يعيش على الولهم فواراً يعيش في رلك
وليعيش الغراب بالورر والنور... وسيفي الحب بالاشواق
سمر الدهر عنده... فهو ليلته لهواه المرحلات البوآلي
بتمنى زوده لونسى الأسس ركن... لهيئات أن ينسك!

عمر

للتذكرى الشوك...

خَيْالُكَ نَدَّ فَمِنْ أَطْلَقَهُ
وَقَلْبُكَ يُصْنِي إِلَى زَفَرَةٍ
فَدَيْتُكَ ! لَا تُرْهِقِي نَاضِرِيكَ
شَبَابُكَ فَيُضِ الرِّيعُ السَّخِيَّ
طَلَعَتْ ... فَأَوْرَقَ فِي الشَّبَابِ
وَطَافَ أَسْمُكَ الْخُلُوفُ فِي خَاطِرِي
فَرَدَّدْتُهُ فِي الْفَوَادِ الشَّجِيَّ
وَأَشْفَقْتُ مِنْ أَلْمِي أَنْ يُفِيقَ
وَفِي مُقْلَتَيْكَ نَدَاءُ الْحَيَاةِ
وَطَرْفُكَ حَارَ فَمِنْ أَقْلَقَهُ ؟
تَبَوَّحُ بِهَا شَفَّةٌ مُطْبِقَةٌ !
وَلَا تَنْبُشِي الذِّكْرَ الْمُحْرِقَةَ
فَلَا تَتْرُكِي الشُّوكَ أَنْ يَعْلَقَهُ !
وَهَذِهِدْتُ أَضْلَاعِي الْمَرْهَقَةَ
فَلَمْ يَجْرُؤِ الْقَمُّ أَنْ يَنْطِقَهُ
فَكَادَ مِنَ الشُّوقِ أَنْ يُجْرِقَهُ !
فَتَكْدِرُ آفَاقُكَ الْمُشْرِقَةَ
فَكَيْفَ أَحَاوِلُ أَنْ أَخْنُقَهُ ؟

وَأَلْفَيْتُنِي أَسْتَحِثُّ الْخِيَالَ
وَأَقْرَأُ فِي طَرْفِكَ الشَّاعِرِيَّ
وَأَهْتَفُ بِالْأَنْجَمِ الْمُحَدِّقَةِ
أَقَاصِيصَ أَيَّامِنَا الْمَوْرِقَةِ !

* * *

فَدَيْتُكَ ! كَيْفَ طَوَيْتِ الْكِتَابَ
وَكَيْفَ أَفَاقَ الْفَوَادُ الْخَلِيَّ
أَأَحْلُمُ ... أَمْ هَذِهِ مُقَلَّتِي
وَمَا ذَاكَ ! إِنِّي أَحْسُ الْجَفُونَ
تَكَادُ تَبُوحُ بِهَا الشَّفَتَانِ
أَأَخْطَأْتُ - يَا لَيْلَ - لِمَا رَمَيْتُ
لِمَاذَا أَثِيرُ الْمُنَى الْغَافِيَاتِ
وَأَنْكَأُ جَرْحَكَ ذَاكَ الْعَمِيقَ
لَنْ كُنْتُ أَمُقْتُ هَذَا الْآنِينَ
وَأَشْفَقَ قَلْبُكَ أَنْ يُرْهِقَهُ
فَبَاحَ بِأَشْوَاقِهِ الْمَغْلَقَةَ ؟
تُطَالِعُ نَظْرَاتِكَ الْمَشْفِقَةَ
تَفِيضُ بِتَسْلِيمَةٍ شَيْقَةٍ
وَتَفْضَحُهَا النَّظْرَةُ الْمَطْرَقَةَ !
إِلَيْكَ بِفِلْذَاتِي الْمُقْلَقَةَ ؟
وَأَوْقِظُ أَحْلَامَنَا الْمُخْفِقَةَ
وَأُغْرِي خَيَالَكَ أَنْ يَرْمُقَهُ !
فَلِمَ لَا أَحَازِرُ أَنْ أَنْطِقَهُ ؟

فَكَمْ خَاطِرٍ لَمْ تُطِقْهُ الصَّلَوعُ
تَنَهَّدَ فِي الطَّرْسِ حَتَّى ذَوَى
أَعَدْتُ قِرَاءَتَهُ فَكُتُوِيْتُ
فَدَيْتُكَ ! هَذَا لَهَاتُ الْعَذَابِ
وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ كَيْفَ يَكُونُ

* * *

فَدَيْتُكَ ! لَا تَسْأَلِي لِمَ أَنْوَحُ
أَنَا ضَائِعٌ أَنْكَرْتَهُ الْحَيَاةُ
وَلَوْ كُنْتُ أَبْنَى غَدِي فِي الْخِيَالِ
وَالَكِنَّهُ ... حَفَنَةً مِنْ دَمِي
عَهَدْتُ بِهِ لِلَّذِي تَصْطَفِينِ
فَدَيْتُكَ ! لَا تَفْرِقِي إِنْ زَفَرْتُ

فَأَرْسَلْتُهُ زَفَرَةً مُخْرِقَةً
وَأَوْشَكَ يَمْحَقُ مَا نَمَقَهُ
وَكَدْتُ مِنَ الرَّوْعِ أَنْ أَمْرِقَهُ !
تَضَيَّقْتُ بِهِ الْأَضْلَعُ الْمُوثَقَهُ
صَدَاهُ ... لَا ثَرْتُ أَنْ أَصْعَقَهُ !

وَأَنْدَبُ أَيَّامِي الْمُمْلِقَةَ
وَعَافَ الطَّرِيقَ الَّذِي أَرْهَقَهُ !
لَمَّا خِفْتُ - يَا لَيْلٍ - أَنْ أَمْرِقَهُ
وَذَوِبُ حُشَايَتِي الْمُرْهَقَةَ
فَبَدَّدَ أَغْرَاسَهُ الشَّيْقَةَ !
وَلَا تَسْأَلِي الْقَلْبَ مَنْ مَرَّقَهُ

ولا تَذْكُرِي الشوك... إِنِّي أَرَعَوَيْتُ
ولو أَنَّنِي أَسْطَعْتُ بَعْتَ الحَيَاةَ
وَجِئْتُ إِلَيْكَ أَشَقُّ الغَيُومِ
وَأَطْوِي أَسَى... أَنْكَرْتَهُ الضَّلُوعُ

وَعَوَّذْتُ رَاحِكَ أَنْ تَعْلَقَهُ
وَجَدْتُ بِأَنْفَاسِي الرِّيْقَةَ
وَأَصْدَحُ بِالْغُنُوءِ المُشْرِقَةَ
وَشَاءَ فَوَّادُكَ أَنْ أَخْنُقَهُ !

وعني في الذكريات...

وَأَدْتُ رَغَائِي وَطَوَيْتُ عَهْدِي
وَعُدْتُ إِلَى الطَّرِيقِ أَسِيرُ وَحْدِي
أَحَدٌ فِي الْفَضَاءِ ... وَخَلَفَ هُدْيِي
خَيَالُ مَوَائِقِ وَرُفَاتٍ وَعُدٍ !
يَكَادُ الْأَفْقُ يُوقِرُ عَنْ شَكَاتِي
وَتَعَثُرُ فِيهِ أَفْكَارِي وَتُكْذِي
وَفِي عَيْنِي أَشْوَاقٌ حَيَارَى
تَبْوَحُ بِلَهْفَتِي وَتَشِي بِوَجْهِدِي
فَدَيْتُكَ ! قَدْ سَمَّمْتُ خَوَاءَ يَوْمِي
وَنُوتُ بَوَحْشَتِي وَأَضَعْتُ رُشْدِي

تَرَكْتُ لِي الْفَرَاغَ فَأَيْنَ أَخْطُو ؟
وَمِلْتُ عَنِ الطَّرِيقِ فَضَاعَ قَصْدِي
دَعِيَ لِي الذِّكْرِيَّاتِ ! لَعَلَّ فِيهَا
بَقِيَّةُ رَحْمَةٍ وَسَرَابٌ وَدُّ
أَهْدُهُدُ نَاطِرِي بِهَا وَأَغْفُو
عَلَى حُلَمَيْنِ : مِنْ ثِقَةٍ وَسَعْدٍ !
فَدَيْتُكَ ! كَيْفَ أُوغِلُ فِي طَرِيقِ
يَكَادُ عَلَى ثَرَاهُ يُخَطُّ لَحْدِي ؟
حَيَاتِي نَقْمَةٌ وَشَجَاً وَيَأْسٌ
فَكَيْفَ أَعِيشُهَا بِدَمِي وَجِلْدِي
تُرَاوِدُنِي . . . فَتَخَذُلْنِي عُرُوقِي
وَتَخْدَعُ نَاطِرِي وَتُشِيرُ زُهْدِي

فَأَمْلُ أَنْ تَرُدَّ عَلَيَّ زُهْوِي
فَتَسْأَلَنِي الرَّوْيُ : أَتَقَضَّتْ عَهْدِي ؟
أَطَأَطِيءُ عَنْدهَا رَأْسِي وَأَمْشِي
بِذَلَّةٍ قَانِطٍ وَمَلَالٍ عَبْدٍ !
أَخَافُ مِنَ السَّنِينِ تَفْلُ بِأْسِي
وَتَوْهِنُ مِرَّتِي وَتَشُلُّ زَنْدِي
وَأَفْرَقُ إِنْ سَلَوْتُ ذَهَابَ حُلْمٍ
وَقَفْتُ عَلَيْهِ أَشْوَاقِي وَوَدِّي !
تَكَادُ كَأَبْتِي تَطْغَى وَتُورِي
ظَمَاءَ مَحَاجِرِي وَأَوَارَ كِبْدِي
دَعِي لِي الذِّكْرِيَّاتِ ! تَرِقُّ نَفْسِي
وَتَهْدَأُ ثُورَتِي وَيَقَرُّ حَقْدِي

وَأَلْتَمِسُ الْحَيَاةَ خِلَالَ ذِكْرِي
كَتَبْتُ سَطُورَهَا بَدَمِي وَسُهْدِي !

* * *

فَدَيْتُكَ ! قَدْ نَكَاتِ جِرَاحَ قَلْبِي
فَأَيَّةَ جَذْوَةٍ أَبْقَيْتِ عِنْدِي !

دَعِي لِي الذِّكْرِيَّاتِ ! فَكَمْ ظِلَامٍ
طَفَقْتُ أَبْثُثُهُ أَلَمِي وَوَجْجِي

أَلَمٍ فِيهِ أَخِيْلَةٌ يَتَامَى
تَنُوحُ إِخْيَيْتِي وَتَخَافُ فَقْدِي

إِذَا هَذَهْدَتْهَا اضْطَرَبَتْ وَجَاشَتْ
وَكَاذَ زَفِيرُهَا يُودِي بِرُشْدِي !

أَنَا هَيَامٌ فِي أَوْدَاءِ مَاضٍ
مَلَأْتُ شِعَابَهُ بِشَذَى وَوَرْدٍ

تَرَكَتُ بِهِ الشَّبَابَ وَجِئْتُ أَبُكِي
ذُبُولَ بَرَاعِمِي وَأُفُولَ جَدِّي !
وَكَانَ هَوَاكَ يَمَلَأُ لِي حَيَاتِي
وَيَبْعَثُ عَزَمَتِي وَيُنِيرُ قَصْدِي
وَهَا أَنَذَا أَدَبٌ عَلَى طَرِيقِ
نَثَرْتُ عَلَيْهِ أَشْوَاقِي وَسَعْدِي !
فَدَيْتُكَ ! قَدْ أَطَلَّ خَرِيفُ عُمْرِي
فَأَيْنَ تَهَرُّبِي مِنْهُ وَبُعْدِي ؟
دَعِي لِي الذِّكْرِيَّاتِ ! فَكَيْفَ أَحْيَا
إِذَا أَقَلَ الشَّبَابُ وَكُنْتُ وَحْدِي !

١٩٥٠

النتظـر

أَقْبَلِي أَقْبَلِي ... فَقَدْ عَسَسَ اللَّيْلُ ... وَغَامَ الْفَضَاءُ فِي نَاطِرِيَا
السَّمَاءِ الدُّكْنَاءِ تُرْهِقُ أَنْفَا سِي وَتُلْقِي النَّذِيرَ فِي أُذُنِيَا !
أَقْبَلِي ... فَالظَّلَامُ يُوقِرُ نَفْسِي نَزَوَاتٍ ... وَيَوْقِظُ الشَّجَوَ فَيَا
وَالرِّيَّاحُ الْغَضَابُ تَلَطُّمُ شَبَا كِي وَتَدْوِي خَلْفَ الزَّجَاجِ دَوِيَا
وَالْحَيَا دَافِقٌ ... يَطِيرُ مَعَ الرِّيحِ ... وَتَجْرِي بِهِ سَخِيَا سَخِيَا
وَنُبَاحُ الْكَلَابِ يَحْنُقُهُ الْقُرُ وَتَمْضِي بِهِ الرِّيَّاحُ قَصِيَا
أَقْبَلِي ... فَالظَّنُونُ يَا لَيْلَ تَأْبِي أَنْ أُحِسَّ النُّعَاسَ فِي جَفْنِيَا
وَأَنَا فِي تَرْقِي ... أَفْتَحُ الْبَابَ وَأَرْنُو ... عَلَيَّ أَطَالِعُ شَيَْا !
أَسْأَلُ اللَّيْلَ : مَا وَرَاءَكَ يَا لَيْلُ ... وَأُصْغِي إِلَى الرِّيَّاحِ حَفِيَا
أَنَا فِي مَوْقِفِي تُحَدِّقُ عَيْنَا يَ وَيَسْمَعِي بِي الْخِيَالُ مَلِيَا
كَلِمَا مَرَّ فِي الدُّجَى ذُو جَنَاحٍ كَدْتُ أَنِّي أَضْمُهُ بِيَدِيَا

وَكأنِّي أَرَاهُ يُشْفِقُ مِنِّي فيكادُ الفؤادُ يصرُخُ : هَيَّا !
... أَيُّ شَيْءٍ تُرَى أَعَاكَ عَنِّي بعدُ ما أرهفَ الصدى أذُنًا ؟
أَيَّ دَرْبٍ سَلَكَتَ فَأَضَلَّتْ فيه أَقْدَامُكَ الطَّرِيقَ إِلَيَّا ... ؟
طالَ لَبْثِي ... ولم أَزَلْ أَفْتَحُ الصَّدْرَ ... وَأَسْتَقْبِلُ الظَّلامَ العَتِيًّا
كلما صَحْتُ فِي القَتَامِ لِسَارِ ضاعَ صَوْتِي ... وماتَ في شَفَتِيَا
ليتَ شعري ! أَلَمْ يَحْنِ لفؤادي أَنْ يَرى فِي الحَيَاةِ شَيْئًا رَضِيًّا
مَرَّقَتَهُ يَدُ الفِرَاقِ وَمَرَّتْ وهو ما زالَ بالفِرَاقِ شَقِيًّا ... !

* * *

إِيهِ لَيْلَايَ ! لَمْ أَعُدْ أَرْقُبُ الأفقَ ... وَإِنْ كُنْتُ قد مَدَدْتُ يَدَيَّا
أَنَا باقٍ هُنَا ... أَجَاهِدُ إِخْفَا قِي ... وَأُخْفِي العِيَاءَ فِي نَاطِرِيَا
طاشَ حَامِي وَكَدْتُ أَقْقِدُ صَبْرِي وَتَجَلَّى الشُّحُوبُ فِي وَجَنَتِيَا !
أَنَا باقٍ هُنَا ... وَقَدْ نَصَلَ اللَّيْلُ ... فَرُدِّي لِي الخِيَالَ الغَوِيَّا
وَدَعِينِي لوَحْدَتِي ... أَغْلِقُ البَا بَ وَأَبْكِي ... فَلَسْتُ آمُلُ شَيْئًا !!

١٩٤٩

أَفْوَحِي مِنَ الْيَأْسِ

شَبَابَ هَوَانَا ! لَا عَارَكَ ذُبُولُ
جَمَالِكَ بَاقٍ وَالْحَيْنُ طَوِيلُ
مُزِجَتَ بَقْلِي فِلْدَةً إِثْرَ فِلْدَةٍ
وَعَلَّغَلْتُ فِي رُوحِي فَكَيْفَ تَزُولُ ؟
رُويِدَ اللَّيَالِي ! مَا نَسِيتُ شَبَابَهَا
وَلَمْ تُخَفِّهَا عَنْ نَظَرِي سُدُولُ
أَتُعْرِِي بِي السُّلُوفَ ... وَالْقَلْبُ مُوَلَعٌ
وَقَدْ أَوْشَكْتُ فِيهِ الْحَيَاةُ تَدُولُ ؟
إِذَا ذُكِرَتْ لَيْلِي أَسْتَطَارَ بِهِ الْهُوَى
وَجُنَّ أَشْتِيَاقٌ وَأُسْتَفَاقٌ غَلِيلُ !

شقيقةٌ رُوحِي ! والحياةُ تُريدُني
ويُقلِّقُني منها الغداةُ نُكُولُ
خُذِي يَدي إِنْني وَقَفْتُ عَلَى الرَّبِّ
وَحِزْتُ إِلَى أَيِّ الدُّرُوبِ أَمِيلُ
أُنَكِّسُ رَأْسِي وَالدَّمُوعُ تَوَاتَبَتْ
وَقَدْ أَوْشَكَتْ لَوْلَا الْحَيَاءُ تَسِيلُ
وَأَصْرَفُ أُذُنِي عَنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ
وَفِي أُذُنِي مِمَّا رَوَيْتَ هَدِيلُ
وَأَغْرَقُ فِي بَحْرِ عَمِيقٍ مِنَ الرَّؤْيِ
وَيَشْغَلُنِي عَمَّا أُرِيدُ ذُحُولُ
وَتَشْرُدُ أَفْكَارِي إِلَيْكَ كَأَنَّمَا
أَهَابَ بِهَا دَاعٍ إِلَيْكَ طَوِيلُ

أَمَامِي غَدُّ قَفَرٍ يَكَادُ يَضِيقُ بِي
وَحَلَفَنِي مِنْ ذَاكَ النِّعَمِ حُقُولُ !
وَتَسْأَلُنِي عَيْنَاكَ : هَلْ يَخْلُدُ الْهَوَى ؟
وَلَمْ لَا ... إِذَا كَانَ الْإِلَهُ يَقُولُ ؟ !
شَقِيقَةُ رُوحِي ! لَا تَرُعْكَ مَلَامَةٌ
وَدَهْرٌ ضَنِيفٌ الرَّاحَتَيْنِ بِخَيْلُ
وَلَا تَعْبِي بِالنَّاسِ ... مَا لِحُرَافَةٍ
يَقُولُ بِهَا الْقَوْمُ الضُّعَافُ سَبِيلُ
تَرَاوِدُنِي دُنْيَايَ عَلَّ جَوَانِحِي
يُخَامِرُهَا يَأْسٌ أَصْمٌ ثَقِيلُ
وَأَعْرِفُ عَنْ أَشْيَاءٍ كُنْتُ أَوْدُهَا
وَأُنَكِّرُهَا ... وَالشُّوقُ فِيَّ يَجُولُ !

وهيهات أَصْغِي للذي يزعمُ الحجا
وهيهاتَ يمضي بالودادِ رَحِيلُ !
خَسِئَتَ كَلامَ الناسِ ! ليسَ لِحُبِّنا
فَناءُ ، ولا لِلْبُرْعمَيْنِ ذُبُولُ
لنا الحبُّ - دونَ الناسِ - والخلدُ والصِّبا
وللناسِ - ما تُنبِي الغداةَ - فُضُولُ
أَقاصيصُنا تُروى لمن جاءَ بعدنا
وتُعَقَّدُ أَسْمارُها وفُصولُ !
وكيفَ يقولُ الناسُ : ماتَ غرامُنا
وفي كلِّ ما تُبْدي عليه دليلُ
لنا أَفْقٌ نَسْمَعُ إِلَيْهِ لَنَلْتَقِي
إذا ذَهَبَ الغِمْ الرقيقُ أَصِيلُ

وَجَدْتُكَ فِي يَوْمِي وَأَمْسِي الَّذِي أَتَقْضِي
وَلِي حَيْثُمَا أَمْضِي إِلَيْكَ وَصُولُ
وَأَغْلَقْتُ قَلْبِي دُونَ كُلِّ صَبَابَةٍ
فَلَمْ يَثْنِهِ عَمَّا عَرَفْتُ بِدِيلُ
فَأَنْتَ مَعِيَ فِيمَا جَهَدْتُ لِنَيْلِهِ
وَأَدْرَكَنِي مِنْهُ وَنَى وَنُحُولُ
وَأَنْتَ مَعِيَ فِيمَا أُحَاوِلُ فِي غَدِي
وَيَضْبِرُ إِلَيْهِ خَاطِرِي وَيَمِيلُ
وَأَنْتَ مَعِيَ فِي كُلِّ دَرْبٍ قَطَعْتُهُ
وَأَنْفَقْتُ فِيهِ الْعُمَرَ وَهُوَ طَوِيلُ
إِذَا أَخَذْتُ دُنْيَايَ كُلَّ تَوَثُّبٍ
وَأَوْشَكَ أَنْ يَعْرِو الرِّغَابَ نُحُولُ

تراءيت لي في كلِّ أمرٍ أخافه
فأقبلت في شوقٍ ورحتُ أصولُ !

☆ ☆ ☆

شقيقةٌ رُوحِي ! لا يرُعكِ تجنُّبُ
ونأيُّ كما شاء الزمانُ ثَقِيلُ
صَبَابَتُنَا بنتُ الخلودِ ... فما لها
وإنْ دَهَمَتْهَا الحَادِثَاتُ أَقُولُ
فلا اليأسُ يَشْنِيهَا إِذَا خَبَتِ الْمُنَى
ولا زَهْوُهَا فِيمَا يَحُولُ يَحُولُ !
هوَانَا هو الدُّنْيَا ! تَقَرُّ قُلُوبُنَا
إِلَيْهِ وَتَهْفُو أَكْبَدُ وَعُقُولُ

هوى قَدَّسَتْهُ الأَرْضُ مُنْذُ وجودِهِ

وحدَّتْ عنه في السماء رسولُ

لئن رَهَقَتْ أنفاسُنَا في لهيبه

فما زالَ فيها من شذاهُ ذِوَلُ

يَهْمُ به الدهرُ الأثيمُ سَفَاهَةً

فيرْجِعُ عنه الدهرُ وهو كَلِيلُ

ففي القَدْرِ المَسْطُورِ كانَ قُدمُهُ

فكيفَ إذا حُمَّ الفراقُ يَزولُ ؟ !

١٩٤٨

غفران

أَنْتِ... يَا مَنْ شَهِدْتَ مَوْلِدَ حُلُمِي
إِغْفِرِي لِي إِذَا جَعَلْتُكَ مُحْرًا
أَوْ مَاتَ نَحْوُهُ السَّنُونُ فَلَمَّا
أَنَا طَيْرٌ - يَا لَيْلٍ - تَاهَ مَعَ الرِّيدِ
لَمْ يَجِدْ وَكَرَهُ فَأَقْبَلَ يَحْبُو
أَبْصَرَتْهُ عَيْنَاكَ يَنْتُرُ فِي الشَّدِ
وَعَوِيلُ الرِّيحِ يَمْلَأُ أُذُنَيْهِ
كَادَ يَقْضِي... لَوْلَا إِهَابَةٌ وَدَّ
قَرَّبَتْهُ فَرَاخَ يَحْمَدُ فِيهَا
وَحَيَالِي وَفِكْرَتِي وَكَيْسَانِي
بَ شَبَابٍ مُعَذِّبٍ لَهْفَانِ
صَارَ فِيهَا... لَمْ يُلَفِّ غَيْرَ دُخَانِ !
حِجَّ وَضَلَّتْ فِي مُقْلَتَيْهِ الْأُمَانِي
مُتَعَبَ الْخَطْوِ بَادِي الْخُذْلَانِ
حِجَّ وَيَعْنِيَا بِالْقُرِّ وَالْحَرَمَانِ
هَ فَيَصْنَعِي إِلَيْهِ فِي إِذْعَانِ
مِنْكَ أَوَدَتْ بِأُوسِهِ الْيَقْظَانِ
نَعْمَةُ الدِّفْءِ وَالْمَنَى وَالْحَنَانِ !

أَنْتِ ... يَا مَنْ سَلَكَتِ غَيْرَ طَرِيقِي
إِغْفِرِي لِي إِذَا أَثَرْتُ بِي الشَّوْ
وَإِذَا مَا سَلَوْتَنِي ذَاتَ يَوْمٍ
وَتَوَلَّيْتُ يَدُ الزَّمَانِ بِمَاضٍ
فَأَتْرَكِينِي أَعْدُ إِلَى ظُلْمَةِ الْيَأْ
وَإِغْفِرِي لِي إِذَا بَكَيْتُ وَضَجَّتْ
أَنَا غَادٍ إِلَى الدُّجَى أَنْطَوِي فِيهِ
وَأُدَارِي لَهْيَهَا خَلْفَ أَضْلا
كَلِمَا غَمَمَ النَّسِيمُ تَذَكَّرُ
وَرَجَا غَيْرَ مَا سَلَكَتِ جَنَانِي
قَ فَأَسْأَلْتُ لِلْقُنُوطِ عِنَانِي .
وَسَلَا عَهْدُكَ الْجَدِيدُ مَكَانِي
نَقَشْتَهُ الْحَيَاةُ فِي أَجْفَانِي
سِ وَأَدْفُنْ بِشَاشْتِي وَأَمَانِي
كَلِمَاتُ الْعَتَابِ فَوْقَ لِسَانِي !
هَ عَلَى مَا أَحْسُ مِنْ أَحْزَانِ
عِي وَأُخْفِي عَنِ الْعَيُونِ هَوَانِي
تُ ... فَخَلْتُ النَّدَاءَ فِي آذَانِي !

* * *

أَنْتِ ... يَا مَنْ شَهِدْتَ أَجَلَ حُلُمٍ
إِغْفِرِي لِي إِذَا زُهِيتُ بَوْدٍ
فِي زَمَانِي ... فَكَانَ كُلُّ زَمَانِي !
حَمَلْتُهُ لِي الضَّلُوعُ الْحَوَانِي

أَنْتِ أَحْيَيْتِنِي وَقَدْ كُنْتُ أَسْمَى بِخُطْبَىٰ وَاهِنٍ وَقَلْبِ جَبَانٍ
فَإِذَا مَا رَأَيْتِ إِيْمَاضَ طَرْفِي وَإِذَا مَا لَحْتَ رَعَشَ كِيَانِي
وَإِذَا مَا ذَكَرْتَ أَجَلَ أَمْسِي قَدْ وَعَتْهُ صَحَائِفُ الْأَزْمَانِ
وَذَكَرْتَ الشَّبَابَ ... وَالْقَلَقَ الْحَدَّ يَ... وَرَجَعَ الْحَزْنَ وَالْأَشْجَانِ
وَإِذَا مَا رَأَيْتِ - يَا لَيْلَ - وَجْهِي فِي ذُحُولِ مُحَدَّقِ وَافْتِتَانِ
فَاغْفِرِي لِي تَطَفُّلِي وَغُرُورِي وَاغْفِرِي لِي مَحَبَّتِي وَحَنَانِي !

١٩٤٩

بقايا

يا شاردَ العَيْنَيْنِ ! لا تنظرِ
فليسَ في أفقك من بارقة
الفجرِ قد مرَّ ولم تشعرِ
وغاضتِ الأمنيَّةُ الدافقة .
يا قبضةَ الدهرِ خذي وأنثري
ما أنتِ إلَّا القبضةُ السارقة
قد كانَ ما كانَ ... فلم يُشمرِ
وبعثته ضربةً صاعقة !

* * *

الأفقُ مَوْصودٌ ... وهذي الرؤى
تتابعَت في الحدقِ المُطبَّقة
فحُلُمٌ مات ... وحُلُمٌ نأى
وآخرُ يُجهدُ أنْ يلحقه
قد حدَّقَ الطرفُ فماذا رأى ؟
بقيَّةٌ من صورِ مُحَدِّقه
يطمسُها اليأسُ إذا أومأ
فتشبُّ الروحُ لها مُشفِّقه

لَمْ يُبْقِ لِي الدَّهْرُ سِوَى خَفَقَةِ
دَنُوتٍ لَوْ تَنَقَّعُ لِي غُلَّتِي
يَا دَهْرُ هَلْ نَمَشِي إِلَى جَنَّةِ
الرَّمْلِ قَدْ طَالَ ... فَوَالْهَفْتِي
أَلَمَحْهَا فَوْقَ أَدِيمِ التَّرَابِ
لَكِنَّا الْيَوْمَ ... بَقَايَا سَرَابٍ !
أَمْ أَنَّنَا نَمُضِي وَيمُضِي الشَّبَابُ ؟
لَمْ نَكْمُلْ السَّيْرَ إِذَا الْقَصْدُ غَابَ ؟ !

* * *

تَصَوَّحَ الْعَمُرُ وَمَاتَ الرَّجَاءُ
يَا نَفْسُ مَا الْعِيشُ وَهْلٌ لِلْبَقَاءِ
النَّاسُ لِلْمَوْتِ ... فَمَا لِلشَّقَاءِ
مَا خَرَّ لَوْ أَمْسَكَ كَفُّ الْقَضَاءِ
وَأَنْتِ فِي كَبْتِكَ الْجَامِدَةَ ...
حَقِيقَةُ وَاحِدَةٍ خَالِدَةٍ ؟
يُخَفِّزُهُمُ لِلْحَفَرِ الْبَارِدَةِ
وَعَفَّ عَنْ بَعْضِ مُنَى بَائِدَةٍ !

* * *

يَا لَهْفَةَ الرُّوحِ خُذِي مِنْ دَمِي
تَسْتَوْفِزُ الْقَلْبَ وَتُظْمِي فِي
بَقِيَّةٍ لَاهِفَةٍ وَارِيَهُ
وَتَسْتَشِيرُ الذِّكْرَ الْمَاضِيَهُ

قد ذهبَ العمرُ فلا تُندمي ما هو إلا خدعةٌ باليه
سيانٍ إنْ أَهْلَكَ وإنْ أَسْلَمَ ما دمتُ لا أملكُ آماليه !

يُقْلِقُكَ الغَيْبُ وإِنِّي أَرَاهُ يَهْزَأُ يا نفسُ بأوهامنا
إنْ يَخْنُقِ اليومَ صريرَ الشفاهِ لنْ يَصَلَ الداءُ لأرواحنا .
يا نفسُ لا يَغُرُّكَ كُنْهُ الحياهِ ما هي إلا نَسْجُ أحلامنا
أسطورةٌ نحنُ ... فواللهفتاهُ لمْ تَبْقَ مِنَّا غيرُ أشباحنا !

مِنْ حُلْمٍ نَبْنِي ... فياليتنا لمْ نَعْرِفِ الحُلْمَ ولمْ نَبْنِه
في يَقْظَةِ الفجرِ نذيرٌ لنا يمزقُ الروحَ بسكينة ...
حطَّمتنا الدهرُ وما ملَّنا يا رجسَ من يسرفُ في طعنه
نحنُ حَضَنَّا ... وابكينا لمْ نَجْنِ غيرَ الشوكِ من حَضْنِه !

لَنْ أَحْدِجَ الْأُفُقَ وَلَنْ أَرْمَقَهُ فليس غيرُ القَزَعَاتِ العِجَافُ
إِخَالُهَا أَشْرَعَةً مُنْغَرَقَةً أَغْوَزَهَا الشُّطُّ وَطَالَ المَطَافُ .
زُرْقَتُهُ فارغةٌ مُمْلِقَةٌ تنكرُها الروحُ ... فيا للَجَفَافِ
الطَّرْفُ قد شُدَّ فَمِنْ أَوْثَقَهُ النَجْمُ لَنْ يَطْلُعَ ... والليلُ صَافٍ !

* * *

هناكَ في رَابِيَةٍ مُقْفِرَةٍ خرساء ... إِلَّا بَوْمَةٌ تنعقُ
حَفِيرَةٌ فَاغِرَةٌ مُنْكَرَةٌ تنتظرُ الروحَ التي تَأْبِقُ
هناكَ يَا نَفْسُ لَنَا مَقْبَرَةٌ مقبرةٌ تحضُنُ مَنْ يَرْهَقُ
يُلْقِي بِهَا اليَأْسُ مَا أَوْقَرَهُ وَيَسْتَرِيحُ التَّعِيسُ المَرْهَقُ !

١٩٤٧

حرمه

أَتَكْفُرُ بِي يَا شَبَابَ الْمُنَى
طَغَتْ كِبْرِيَاؤُكَ حَتَّى سَدَلْتَ
تَرَكْتُ لَكَ الزَّهْوَ... زَهْوُ الصَّبَا
عَلَى مُقْلَتِي يَلُوحُ الْعِيَاءُ
وَأَخْرَسْتُ فِي شَفَتِي اللَّحُونَ
وَأَقْبَلْتُ أَنْثُرُ بَيْنَ يَدَيَّ
وَأَلْفَيْتُنِي فِي عُبَابِ الذُّهُولِ
أَحَدِّقُ عَلَى أَمْسِ الْغُيُوبِ
وَأَهْفُو إِلَى حُلْمٍ لَا أَرَاهُ

وَقَدْ وَهَبْتُكَ يَدَايَ الشَّبَابِ ؟
عَلَى نَاطِرِي نِقَابَ الْعَذَابِ !
وَوَدَّعْتُ تِلْكَ الْأَمَانِي الْكَذَابِ
وَتَخَنَى عَلَى كَتِفِي الصِّعَابِ
وَأَطْبَقَ كَفَّايَ فَوْقَ الرَّبَابِ
ثِمَارَ الْعُدُوِّ وَمَحَلَّ الْإِيَابِ !
أَقْلَبُ طَرَفِي خِلَالَ السَّحَابِ
وَأُبْصِرُ مَاذَا وَرَاءَ الْحِجَابِ !
وَلَكِنْ أَلَا مِحْهُ فِي الضَّبَابِ

وَيُثْذِفُ بِي فِي خِصَمِّ الْعِتَابِ	يُطَوِّحُ بِي فِي شِعَابِ الظُّنُونِ
وَأَهْرَبُ مِنْ وَسْوَساتِ الْعِقَابِ	أَفِرُّ لَهُ مِنْ لَهَاتِ الْحَزِينِ
فَبَعَثْتُ فِيهِ الْمَنَى وَالرَّغَابَ !	نَفَرْتُ إِلَيْهِ أَرِيحُ الْحِشَا
وَضَيَّعْتُ فِيهِ الظُّنُونِ الْعِذابِ	فَضَاءً نَفَضْتُ عَلَيْهِ الْيَقِينَ
فَلَمْ أَلْفِ غَيْرَ الْبَلَى وَالْخَرَابِ	طَفِقْتُ أَوْمَلُ فِيهِ الْحَيَاةَ
فَغَصَّ الْخَيَالُ وَجَفَّ الشَّرَابُ	وَعُدْتُ إِلَى الْوَهْمِ أَسْقِي الْخَيَالَ
فَمَنْ ذَا يُعِيدُ إِلَيَّ السَّرَابَ ؟	وَكُنْتُ أَزْدَرَيْتُ السَّرَابَ الْغَوِيَّ

* * *

سَوَى 'وَرَقَةٍ فِي الرِّيحِ الْغِضَابِ	تَلَاشِي 'الشَّبَابُ... وَلَمَّا يَكُنْ
وَأَلْقَتْ بِهَا الرِّيحُ فَوْقَ التُّرَابِ !	تَمَشَّى بِهَا الْيَيْسُ قَبْلَ الْيُنُوعِ

١٩٤٨

أخفى أنسى

يَدَ الْأَيَّامِ ... كَمْ أَخْشَى	عَلَى دُنْيَايَ مِنْ غَدْرِكَ !
مَضَى الْحُلُمُ ... وَلَمْ يَنْجُ	سِوَى مَاضِيٍّ مِنْ أَشْرِكَ
فَمَا آثَرْتُ أَنْ أَطْعَى	وَلَا تُقْتُ إِلَى سِحْرِكَ
بَلِ ارْتَحْتُ إِلَى الْيَأْسِ	وَقُلْتُ : أَفِرُّ مِنْ شَرِّكَ !

* * *

مَضَى الْحُلُمُ ... وَلَمْ تَبْقَ	سِوَى ذِكْرَاهُ فِي نَفْسِي
أَخَافُ أَخَافُ مِنْ يَوْمٍ	يُمِيتُ فَرَاغَهُ حِسِّي
وَأَصْحُو فَوْقَ أَنْقَاضٍ	مِنْ الْأَوْهَامِ وَالْحَدْسِ
تُذِلُّ الزَّهْوَ فِي حَدَقِي	وَتُلْقِي السَّمََّ فِي كَأْسِي !

تركتُ الأرضَ للنَّاسِ
فلمْ أرْتَحْ إلى لِيْلٍ
يريدُ الدهرُ أنْ أنسى
وهلْ أبقي لي اليومَ

أخافُ أخافُ أنْ أنسى
وأنْ يَسْتَيْقِظَ القلبُ
إذا ما هزَّه الشوقُ
تلفتَ يذكُرُ الأَمْسَ

أخافُ أخافُ أنْ يطوي
ويتركني على الأرضِ
سَلِيبَ العِزِّمِ ... أَسْتَجِدِي
إذا ما أومأَ الفَجْرُ

ورحتُ أَعِشُ في جُرْحِي
ولمْ أَرْكَنْ إلى صُبْحٍ
فهلَّا كَفَّ عن نُصْحِي ؟
سوى الوَحْشَةِ والنُّبْحِ !

ويذهبُ رَوْنَقُ الماضي
على سَآمٍ وإِرْمَاضِ
وأقبلَ بَعْدَ إِعْرَاضِ
فلمْ يَرَ غَيْرَ انْقَاضِ !

ظلامُ اليأسِ لَيْلَاتِي
بِلا ماضٍ ولا آتٍ
من الحُرْمَانِ أَيْبَاتِي
نثرتُ عليه فَلْدَاتِي !

أَخَافُ أَخَافُ مِنْ عَيْشٍ
وَتَعْصِفُ بِالَّذِي أَبْنِي
إِذَا مَا قُلْتُ : لَنْ أُنْسِي
رَمَتْ أَشْوَاكُهُ كَبَدِي

* * *

فَدَيْتُكَ أَيُّهَا الْقَلْبُ !
أَأَنْتَ تَخَافُ أَنْ تَنْسِيَ
لَقَدْ جَدَّ بِكَ النَّأْيُ
وَقَدْ رَوَّعَكَ الدَّهْرُ

* * *

فَدَيْتُكَ أَيُّهَا الْقَلْبُ !
قَهَرْتَ الْغَمَّ ... وَالْأَيَّامَ
وَرَحْتَ تَجَدُّدَ الْعَهْدِ
وَكُنْتَ تُسَمِّرُ الدَّهْرَ

تَوَوَّدُ النَّفْسَ أَعْبَاوَهُ
مِنْ الْأَحْلَامِ أَنْوَاوَهُ
وَلَنْ يُفْلِحَ إِغْرَاوَهُ
وَعَاثَتْ فِيهِ أَقْذَاوَهُ

* * *

أَأَنْتَ تُرَاعُ مِنْ دَهْرِكَ ؟
أَأَنْتَ تَشْكُ فِي صَبْرِكَ
فَإِذَا كَانَ مِنْ أَمْرِكَ ؟
فَكَادَ يُجْنُ مِنْ كِبَرِكَ !

* * *

فَقَدْ أَذَكَيْتَ بِي الْبُؤْسَ
مَ ... وَالنَّسْيَانَ ... وَالْيَأْسَ
وَتَحَضَّنُ ذَلِكَ الْأَمْسَ
فَكَيْفَ تَخَافُ أَنْ تَنْسِيَ !

كيف أنسى..!

كيف أنسى وأكفرُ	واللظى ليس يفترُ
كأما قيل : قد خبا	راح يذكو ويفرُ !
عبثاً ترقبُ النوى	كيف أساو وأغدرُ
حلمُ الأمس لم يزلُ	فوق جفني يخطرُ
يرتوي منه ظامي	ويواسي محيرُ !
أيها الدهر ! وقفة	فأنا منك أبصرُ
عبثاً أنت زاجري	عبثاً أنت تنكرُ
كيف أنسى وفي دمي	نقمة ليس تسترُ
أنت أوديت بالني	ثم أقبلت تسخرُ
خلت أني معذبُ	نافد الصبر موقرُ

تَتَرَاءَى لِي النُّوَى
عَجَبًا ! أَيَّ فِتْرَةٍ
حَاضِرِي غَاضَ نَوْرُهُ
أَيُّهَا الدَّهْرُ ! وَفَقَّةٌ
كَيْفَ أَنْسَى صَبَابَةً
فِي دِمَائِي أَحْسُهَا
كَيْفَ أَنْسَى وَأَذْمَعِي
كَيْفَ أَنْسَى بِأَنِّي
وَتَطَلَّعْتُ لِلْحَيَا
وَتَرَاءَى لِنَاضِرِي
نَسَجَتُهُ يَدُ الْمَنَى
كَيْفَ أَنْسَى وَلَمْ أَزَلْ

كَلَّ حِينَ فَأَقْصِرُ !
مِنْكَ يَا دَهْرُ أَوْزُرُ ؟
وَعَدِي كَيْفَ يُبْصِرُ ؟ !
فَأَنَا مِنْكَ أَخْبِرُ
لَمْ تَزَلْ فِي تَهْدُرُ
وَبِدَمْعِي تُسَطِّرُ !
لَمْ تَزَلْ مِنْكَ تَهْمُرُ
كَدْتُ أَغْنَى وَأَظْفَرُ
وَاقْبَلْتُ أَنْظُرُ
حُلُمٌ كَادَ يُثْمِرُ
وَالْجِيَالُ الْمُصَوِّرُ !
فِيهِ أَطْوَى وَأَنْشُرُ

عِشْتُ فِي عُنْفُوَانِهِ وَبِهِ سَوْفَ أَقْبِرُ !

* * *

إِيَّاهُ لَيْلَايَ ! كَمْ هَوَى
لَا تُرَاعِي مِنْ النُّوَى
نَحْنُ إِنِّ عَقَّنَا اللَّقَا
فَلْنَا فِي خَيَالِنَا
أَنْتِ لِي لَا لِعَافِلٍ
إِيَّاهُ لَيْلَايَ ! كَمْ يَدٍ
يَكْرَهُ الدَّهْرُ أَنْ يَرَى
كَلَّمَا خَالَ زَفْرَةً
قَالَ : مَا أَنْتَ صَانِعٌ ؟

كَادَ لَوْلَاكَ يَكْدُرُ
فَالنُّوَى لَيْسَ تَقْدُرُ
وَالرَّيْعُ الْمُنَوَّرُ
مَوْعِدٌ لَيْسَ يُخَفَّرُ^(١)
أَبْلَهَ لَيْسَ يَشْمُرُ !
لَكَ تُرَوَّى وَتُؤَثَّرُ
كَيْفَ نَأْسَى وَنَذْكُرُ
أَوْ رَأَى الدَّمْعَ يَقْطُرُ
قُلْتُ : يَا دَهْرُ أَصْبِرُ !

١٩٥٩

(١) يَنْقُضُ .

النهاية

لا تُراعي ! تلك دنيائي التي ماتت سناها
واحتت ألوانها الغر ورثت صفحتها !
تلك دنيائي التي أبدعت بالأمس رؤاها
وسألت النور لا يبرح ما عاش فضاها
تلك دنيائي التي عشت على وهم رقاها
خنقتها نقطة الجرح وسالت في دماها
فإذا بالحلم المبدع قد جف وشاها
وإذا اليأس الذي حازرت قد كان طواها !
عبثا أسأل أن تحيا ! فقد حمّ رداها
لطمتها قبضة الدهر وقالت : لن تراها !



تَعَبَتْ رُوحِي ! فَمَنْ يَمْلَأُ بِالرُّفْعَةِ حِسِّي ؟
مَنْ تُرَى يُصْنَعِي إِذَا رَتَّلْتُ أَنَّنَا فِي وَهْمِي
حِينَ تَنْدَى الْعَيْنُ بِالْذَّمْعِ فَمَا تَكْتُمُ يَا سَيِّ
حِينَ يَأْوِي الطَّيْرُ لِلوَكْرِ وَيُطْوِي كُلَّ نَبْسٍ
أَرْمَقُ الْأُفُقَ وَفِي عَيْنِي أَسْتَرْجِعُ أَمْسِي
وَتَضِلُّ الْعَيْنُ فِي الْأُفُقِ وَيَنْأَى بِي هَجْسِي !
عَجَبًا تَنْكُرُنِي الْأَرْضُ ! فَمَنْ يَأْلَفُ نَفْسِي ؟
أَنَا ظُمَانٌ ... فَهَلْ فِي النَّاسِ مَنْ يَمْلَأُ كَأْسِي ؟
لَيْتَنِي أَسْطِيعُ أَنْ أَمْحُوَ بِالْأَذْمَعِ بَوْسِي
إِنَّ أَلَكُ الْفَجَرَ الَّذِي مَرَّ ... فَلِمَ تُشْرِقُ شَمْسِي !



تَعَبْتُ رُوحِي ! فَمَا أُبْصِرُ فِي الْأَرْضِ طَرِيقًا
سَرَبَ الْوَهْمِ عَلَى الْأُفُقِ فَلَمْ أَلِفْ صَدِيقًا
الصَّبَا ضَاعَ مَعَ الْقَلْبِ ... وَقَدْ كَانَ رَفِيقًا
وَالرُّؤْيُ جَفَّتْ ... فَمَا أَلْمَحُ فِيهِنَّ بَرِيقًا !
أَيُّهَا الْآلُ عَلَى الرَّمْلِ ! لَقَدْ زِدْتَ خُفُوقًا
أَنْتَ أَغْرَيْتَ بِيَ الشُّوقَ وَفَجَّرْتَ الْعُرُوقَ
كَلَّمَا خَلَّتْكَ مَاءٌ ... رَدَّنِي الرَّمْلُ مَشُوقًا !
عَجَبًا أَيُّهَا الْأَرْضُ ! لَقَدْ زِدْتَ عُقُوقًا
كَلَّمَا قُلْتُ : طَفَا الْيَأْسُ .. جَرَى الْيَأْسُ عَمِيقًا
قَدَرْتُ أَرْكَنُ إِنْ نَامَ وَأَخْشَى أَنْ يُفِيقًا !



تَعَبَتْ رُوحِي ! فَمَنْ يَحْمِلُ لَارُوحٍ عَزَائِي ؟
أَنَا نَائِي فِي فَمِ الْأَيَّامِ قَدْ جَفَّ غِنَائِي
أَنَا شَيْخٌ لَمْ يَدَعْ مِنْهُ الْقَضَا غَيْرَ ذَمَاءِ
أَثَقَلَتْهُ وَطْأَةُ الدَّاءِ وَبَرْحَاءُ الْعِيَاءِ
يَقْحَمُ الدَّهْرَ ... فَيُلْقِيهِ مُدْمَى الْكِبَرِيَاءِ !
عَجَبًا ! وَالْيَأْسُ لَا يَرْحَمُ دَائِي ... مَا بَقَائِي ؟
أَنَا لَوْلَا بَارِقُ الْأَمْسِ تَنَاسَيْتُ رَجَائِي
وَحَنَنْتُ الشُّكُوفَ فِيَّ وَأَهْرَقْتُ إِنَائِي !
وَيْلَكَ يَا نَفْسُ ! أَمَا طَالَ عَلَى الْأَرْضِ ثَوَائِي
لَمْ أَحْيَا ؟ وَالْعَذَابُ الْمُرُّ مَا زَالَ غِذَائِي ؟ !



لا تُراعي ! فزَمانُ الأُنسِ قد مَرَّ وَحِيًّا ^(١)
وانتَقضى أَمْسٌ ... فلمْ يَتْرُكْ سِوَى الذِّكْرَةِ رِيًّا .
عَبَثًا يَسْأَلُنِي الدَّهْرُ ! فما كُنْتُ نَسِيًّا !
أَنَا أَهْوَائِ ... وَإِنْ عَشْتُ مَعَ اليَأْسِ مَلِيًّا
أَنَا أَهْوَائِ ... وَإِنْ لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ فِي يَدَيَّا !
لا تُراعي ! أَنَا ما زِلْتُ كَمَا كُنْتُ وَفِيًّا
فَإِذَا ما أَقْبَلَ المَوْتُ ... فَلَنْ أُوقَرَ عِيًّا
سَوْفَ أَسْتَرْجِعُ فِي البَالِ هَوَانَا القُدْسِيًّا
وَأَرَى الجَفْنَ - وَقَدْ أَقْبَلَ - أَسْوَانَ شَجِيًّا
يُطَبِّقُ الهُدْبَ عَلَيْهِ .. ثُمَّ .. لا أَبْصِرُ شَيْئًا !

ما ذل بسفي...

يا ظلام الأقدار ! رُدَّ صبايا قبل أن تُزهق الحياة يدايا
لا تُترِ نَقْمَتِي فِي كُلِّ عِرْقٍ ثُورَةٌ تَغْتَلِي وَلَفْحُ شَظَايَا !
أَعْدَاءُ يَضْفِرُونَ أَشْوَكَ أَيَّامِي ... وَيَلْقَوْنَ بِالْوَرُودِ سِوَايَا ؟
وَيُذِيقُونَ سَالِبِي قَدَحَ الْخُلْدِ وَيُرْوُونَ بِالزُّعَافِ صَدَايَا
أَعْدَاءُ يَعْقِدُونَ لِي عُقْدَ الْيَأْسِ وَيَأْبُونَ أَنْ يُفَكَّ مَطَايَا (١)
وَيَعْبُونَ مِنْ دَمِي فَؤْرَةَ الْعُمُرِ وَيَطْوُونَ فِي التُّرَابِ هَوَايَا
وَيَقُولُونَ : فَلْتَمْتُ ! وَأَرَانِي فَوْقَ دَرْبٍ مُعَفَّرٍ أَتْعَايَا !
وهو فوق الغيوم : يَلْتَمُهُ الْفَجْرُ وَتَخْضَلُ فِي يَدَيْهِ الْعَشَايَا

(١) ظهري .

وَأَرَاهُ ... فِي النُّورِ شَقَّ خُطَاهُ وَأَنَا فِي اللَّظَى تَدِبُ خُطَايَا !
جَاءَ هَذَا الضَّرِيءُ ! لَمْ أَذَرِ إِذْ جَاءَ وَلَكِنْ رَأَيْتُ فِيهِ رَدَايَا
جَاءَ كَاللَّيْلِ .. كَالْبَلِيَّةِ .. كَالْآلَامِ .. كَالْخَوْفِ .. كَالْتَفَافِ الرِّزَايَا
جَاءَ وَالْخُنْجَرُ الرَّهِيْفُ بِكَفِّهِ ... فَجَذَّ الْمَنَى وَقَصَّ جَنَايَا
وَرَمَانِي أَدَبُ فِي شُعْبِ الْأَرْضِ وَأَطْوَى عَلَى الظَّمَاءِ حَشَايَا
بَزَنِي^(١) مَا جَمَعْتُ مِنْ بَهَجِ الْعُمُرِ وَمَا وَشَّتِ الْحَيَاةُ يَدَايَا
صَوَّحَتْ كَفَّهُ زَنَابِقَ رَوْضَاتِي وَأَخْلَتْ مِنْ الطُّيُورِ رُبَايَا
كَيْفَ مَرَّتْ يَدَاهُ يَا ضِيْعَةَ الْعُمُرِ ! فَشَاعَ الْهُمُودُ فِي دُنْيَايَا
لَيْتَنِي أَسْتَطِيعُ أَنْ أَبْصِرَ الْغَيْبَ فَأُغْرِيه أَنْ يَذُوقَ أَسَايَا
وَأَرَى هَلْ يُطِيقُ أَنْ يَبْلُغَ الْيَأْسَ .. أَمْ الْغَيْبُ لَا يُطِيقُ ضَنَايَا !

* * *

هُوَ يَوْمِي لَا يَوْمُهُ ! فَهُوَ أَحْلَامِي وَدُنْيَايَ وَاتِّلَاقُ مُنَايَا

(١) سَلْبَنِي .

وَصِبَايَ الَّذِي تَنْظُرُهُ الْعُمَرُ ... فَوَالهِفْتَاهُ ضَاعَ صِبَايَا !
هو فَجْرِي طَفِقْتُ أَرْقُبُ فِيهِ لَمَحَاتِ الضِيَا فَكَانَ دُجَايَا
وَرَبِيعِي حَضَنْتُ مِنْ أَجْلِهِ الرِّيحَ وَأَرْخَصْتُ فِي هَوَاهُ قُوَايَا
هو دَمْعِي سَكَبْتُهُ أَرْقُبُ الصَّبْحَ فَلَمَّا دَنَا أَذَلَّ بُكَايَا
وهو رُوحِي أَذْبَتُهَا لِلرَّوْىِ الْبَيْضِ .. فَوَاحِشِرَتَاهُ مَاتَتْ رُؤَايَا !
هو حُمِّي أَوْدَعْتُهُ صُورَ الْعُمَرِ وَغَذَّيْتُهُ لُبَابَ هَوَايَا
وهو زَهْرِي سَقَيْتُهُ ذَوْبَ عَيْنِي ... فَلَمَّا نَمَا جَنَاهُ سِوَايَا !

* * *

أَيُّهَا النَّاعِمُونَ فِي الْحَفْلِ ، فِي الضَّجَّةِ وَيُكْمُ ! لَقَدْ أُبْحَ نِدَايَا
أَوَّلَا تَسْمَعُونَ غَمَمَةَ النُّوحِ ... أَلَا تُبْصِرُونَ نَزْفَ حَشَايَا
أَوَّلَا تَنْظُرُونَ لِلشَّقِ الْبَاكِ فَإِنِّي خَضَبْتُهُ بِدِمَايَا !
أَرْقُصُوا أَرْقُصُوا عَلَى جَدَثِ الْحُلْمِ وَصُبُّوا الشَّرَابَ فَوْقَ ثُرَايَا
وَانْثُرُوا فَوْقَ أَدْمَعِي غَبْرَةَ اللَّهْوِ وَضَجُّوا عَلَى رُفَاتِ مُنَايَا

أيُّها الناعمون ! لا تَتَذَفُوا الكَأْسَ ... ولكنْ خَلُّوا عليه بَقايا
اتركوها على الحِفافِ أَذُقْهَا ودَعَوْهَا تَنَعَّمْ بها شَفَتَايَا
إنَّها لي ! فكيفَ أُحْرِمُ منها حينما أَوْشَكَتْ تَبَلُّ ظَلَايَا !

* * *

إِيه لَيْلَايَ ! ما الذي كَانَ في الأَمْسِ وماذا لَقِيتُ في دُنْيَايَا ؟
تلك رُؤْيَا أَوْدُ لو تُبَعِّثُ اليومَ ولكنْ من ذا يُعِيدُ رُؤْيَايَا ؟
عَبَثًا أَرْقُبُ الفضاءَ ! فلنَ أَبْصَرَ شَيْئًا ولنَ أَرَى إِلَّا يَا
في فُضَائِي تَجْوِسُ أَخِيلَةَ الموتِ وفي خَافَتِي أُحِسُّ شَقَايَا
وعلى مُقَلَّتِي يَنْعَقِدُ اليَأْسُ .. وَيَجْرِي مَعَ الدُمُوعِ لَظَايَا !

* * *

رَاحَةُ الدهرِ تَتَذَفُ البَدْرَ خَزْيَانِ وتَرْمِي بالنِّيرَاتِ شَظَايَا
تَلْمُسُ الرُّوضَةَ السَّرِيَّةَ بالكَفِّ وتُلْقِي بها مَنَى وَمَنَايَا
فَإِذَا بَعْضُهَا غَلَاثِلُ نَوْرٍ وَإِذَا بَعْضُهَا تُرَابُ رَزَايَا !

مِلْءِ يُغْنَاكَ يَنْبُوعُ الْيَمْنِ يَادَهُرُ ... فَضَعَهَا الْغَدَاةَ فِي يُغْنَايَا
وَأَحْمَلِ الشُّوكَ الَّذِي يَسْرِقُ الْحُلْمَ وَيُحْيَا عَلَى أَنْينِ الضَّحَايَا !
عَجَبًا يَا قَضَاءَ ! يَتَّحِدُ الْكَأْسُ ... وَتَبْقَى السُّمُومُ فِي سُقَيَايَا
غَدُنَا وَاحِدًا ! وَلَكِنَّهُ الْخُلْدُ لَدَيْهِ ... وَالْمَوْتُ لِي وَالْبَلَايَا !
جَاءَ يُرْهِى ... وَجِئْتُ أَحْمَلُ جُرْحِي يَا لَزْهَوِ الْمُنَى وَيَا لَدِمَايَا !
تَنْطِقُ الْأُمْنِيَاتُ فِي فِيهِ الْبَشِّ وَتَعْيَا بِنُطْقِهَا شَفَتَايَا
وَهُوَ بِالْمَسْكَ ضُمَّخَتْ رَاحَتَاهُ وَبَدْمَعِي أَنَا أُرْتَوَتْ رَاحَتَايَا
عَبَثًا يَسْأَلُونَ : مَا خَطْبُهُ الْيَوْمَ ؟ ... فَقَدْ آنَ أَنْ تَجْفَ رُؤَايَا
فِي غَدٍ يَدْخُلُ الرَّيِّعُ صِبَاهُ وَأَنَا فِي غَدٍ يَمُوتُ صِبَايَا !!

١٩٤٧

س

بِعَيْنَيْكَ مَا أَرَعَشَ الذُّكْرِيَّاتِ
فَظَلَّتْ مَوَاصِيَّهَا تَخْطُرُ
تَشْقُ الْغُيُوبَ خَيَالُهَا
وَيَسْمَعُ بِهَا اللَّهْفُ الْمُسْعَرُ
تَمُرُّ عَلَى الْأَعْيُنِ الشَّارِدَاتِ
فَتَهْتَاجُهَا وَهِيَ لَا تَشْعُرُ
وَتَرْفُقُهَا مِنْ وَرَاءِ الْحَيَاةِ
ظِلَالٌ مِنَ الْأَمْسِ لَا تُبْصَرُ

ففي رَفَّةِ الجُفَى منها رُؤى
وفي الأذُنَيْنِ صدىً يَعْبُرُ
يَغْمَغِمُ فيها الرجاءُ الحَبِيسُ
وَيَنْفِلُ الرِّهَقُ الموقِرُ
وتَهْجِسُ في غَوْرِها التَّمَنَاتُ
فَأَسْأَلُ : مَنْ ذَا ؟ وَلِمَ يَنْفَرُ ؟
وتَسْرِبُ في النفسِ أَنَّاها
فَيَلْقَها الخافِقُ المُنْكَرُ
يُحَدِّقُ حتى يَمَلَّ الفضاءُ
ويَجْحَدُ الأفقُ الأَعْبَرُ
وتَسْرَحُ عَيْنَاهُ عَبْرَ المدى
وَيَنْقُلُهُ الضَّلَلُ المُنْفَكِرُ

لِيُغْفَلَ عَنْ حَشَرَاتِ الْقَنُوطِ
وَيَنْسَى الْجَحِيمَ الَّذِي يَزْفُرُ .
وَيُذْعِرُهُ أَنَّهُ لَنْ يَقَرَّ
وَيُذْعِرُهُ أَنَّهُ مُذْعَرُ !
وَتَعْمُرُهُ الصُّورُ الْمَاضِيَاتُ
فَيَتَّبِعُهَا وَهُوَ يَسْتَعْبِرُ
وَيَغْرُقُ فِي غَبَشِ الذِّكْرِيَّاتِ
وَيَنْشُرُ مِنْهَا مَا يَنْشُرُ
رُؤْيَ عَاشِهَا قَبْلَ خَلْقِ الْحَيَاةِ
فَكَيْفَ بِأَيَّامِهَا يَكْفُرُ ؟
خَيَالُ ! وَلَكِنَّهُ فِي هَوَاهُ
هُوَ الْعَالَمُ الْأَكْمَلُ الْأَكْبَرُ !

لقد سُدَّ يا قلبُ هذا الفضاءُ
فأَيَّ فضاءٍ تُرى تَنْظُرُ ؟
لقد حَطَمَ الدهرُ ذاكَ السراجَ
وكنْتَ على ضوئِهِ تُبْصِرُ
وجَفَّ الشبابُ ... شبابُ المنى
وعاثَ بهِ الهَرَمُ المُبَكِّرُ
وكنْتَ تُرَجِّيهِ للنائباتِ
ويَذْخُرُهُ الشَّغْفُ المُنْضَمِرُ
وكانَ لنا الفُلُّ والياسمينُ
وكانَ لنا الوردُ والعُمَهرُ
فلمْ يَبْقَ يا قلبُ إِلَّا الحُطامُ
ولمْ يَبْقَ إِلَّا لَقَى أُبْتَرُ

وكان لنا حلمٌ في الحياة
فبدده القدرُ الأَكْدرُ

وكان لنا أملٌ ندَّعيه
وكان لنا عيدنا الأَكْبَرُ

وكان لنا غدنا السَّرمديُّ
نعدُّ خطاهُ ونستبشِرُ

ونزْمُقه بأرتقَابِ اللّيفِ
ويرصده القلبُ والمَحْجَرُ !

تمثّلته أخضرَ الضفّتينِ
يموجُ به النورُ والكُوثرُ

وقد نضرتُه رؤىً من هوايَ
وزيّنه أملٌ مُزهرُ !

تَبَيَّنَتْهُ فِي الْفُضَاءِ الْقَصِيَّ
وَقَدْ غَمَضَ النَّبَأُ الْمُخْبِرُ
فَأَتْبَعَتْهُ الْقَلْبَ خَفَّ الْخَطِيْ
يُحَدِّقُ فِيهِ وَيَسْتَبْصِرُ
فَمَاذَا رَأَى ؟ عَادَ يَبْكِيْ هَوَاهُ
وَنَغْمَمَ : مَهْ ... إِنَّهُ مُقْفَرُ !

* * *

الْإِلَهِ ! مَاذَا وَرَاءَ الْقَضَاءِ
أَنَحْلُدُ فِي الْيَأْسِ أَمْ نَظْفَرُ ؟
وَمَا الْغَدُ ؟ مَا نَحْنُ ؟ مَا الْأُمْنِيَّاتُ
وَأَيُّ مَصِيرٍ لَنَا يُذْخِرُ ؟

أَحْيَا ؟ وَمَنْ قَالَ : إِنَّ الْحَيَاةَ
مِنَ الْمَوْتِ أَوْ صِنْوِهِ تُثْمِرُ ؟ !
رَمَادُ أَنَا بَدَّدْتُهُ الرِّيحُ
فَهَلْ أَسْتَقِرُّ وَهَلْ أَنْشُرُ ؟
وَكَيْفَ ! أَيْرْجِعُ ذَاكَ الشَّبَابُ
وَقَدْ ضَمَّتْهُ جَدَّتْ أَغْبَرُ !
أَأْمَلُ أَنْ تَسْتَجِدَّ الْحَيَاةُ
وَيَخْضَعُ خِزْرَ الْأَمَلِ الْمَذِيرُ
وَقَدْ كُنْتَ أَنْتِ الرِّبْعَ السَّرِيِّ
فَهِيَاتِ يورِقُ أَوْ يَنْضَرُ !
أَأْمَلُ أَلَّا يَهِيَجَ الْعُبَابُ
وَيَنْقَلِبَ الزُّورِقُ الْمَوْقَرُ

وَأَنْتِ الذَّرَاعُ الَّتِي قَدْ هَدَّتَهُ
فَكَيْفَ إِذَا غَبَّتِ لَا يَعْتُرُ ؟!
أَأَمَلُ إِلَّا يُجَنِّبَ الْفَوَادُ
وَقَدْ رَاعَهُ الْقَدَرُ الْأَزُورُ
وَقَدْ كُنْتَ أَنْتِ الْأَمَانُ الْحَنِيَّ
فَكَيْفَ إِذَا شَطَّ لَا يُذْعَرُ ؟!
أَأَمَلُ أَنْ تُوَنِّعَ السُّبُلَاتُ
وَيَشْتَجِرَ الْوَرَقُ الْأَخْضَرُ
وَكَيْفَ ! وَقَدْ جَفَّ فِيهَا الْبَلالُ
وَرَوَّعَهَا عاصِفٌ صَرَّصَرُ ؟!
أَأَمَلُ إِلَّا أَرَى الذُّكْرِيَا
تِ .. إِذْ يَجْهَشُ الْقَلْبُ أَوْ يَزْفُرُ

وما الكونُ إنَّ أنا أنسيْتُها ؟
وما أنا ... إن كنتُ لا أذكُرُ ؟
أأملُ ألاَّ يَنوَّ الشَّبَابُ
ويُذِرِكهُ الشَّظْفُ الْمُقْتَرُ
وكيف ! وقد أرهقتهُ الهمومُ
وكنْتَ النعيمَ الذي يُؤرِّ
وقد كنْتَ أنتِ حياةَ الحياةِ
فكيفَ أقَرُّ ولا أنفرُ ؟
وكانَ صِبَايَ على ناظريكِ
وقد ضلَّ عنكِ ! فهل أصبرُ ؟

١٩٤٧

في الليل

جُنَّ الظَّلامُ وَأَقْفَرَ الدَّرْبُ
 اللَّيْلُ يُرْعِبُ وَالرُّؤْيُ رُعِشَتْ
 عَيْنَاكَ غُلَّقَتَا عَلَى أَفْقٍ
 وَرَوَّاءِكَ غَامِضَةٌ مُغْلَقَةٌ
 جُنَّ الظَّلامُ ! فَمَا أَبْهَتَ بِهِ
 أَفَأَنْتَ رَوْحٌ فِي الظَّلامِ سَرَى
 أَمْ أَنْتَ تَمَثَّلُ الْعَذَابِ مَشَى
 يَا لَيْلُ ! لَسْتُ بِشَارِبٍ قَدَحِي
 أَنَا أَنَّةُ خَرَسَاءَ بَاكِئَةٍ
 جُنَحٌ مِنَ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ هَوَى
 فإلى مَ تَدْرِيجُ أَيُّهَا الْقَلْبُ !
 وَأَرَاكَ : لَا رَعَشَ وَلَا رُعْبَ !
 يَثْبُ الخيالُ بِهِ وَيَحْتَبُ
 طَوْرًا تُضِيءُ وَتَارَةً تَحْبُو !
 وَعَوَى الصَّدَى وَتَفَزَّعَ الْهَضْبُ
 أَمْ قَدْ حَبَيْتَ وَعَقَّكَ الْحُبُّ
 أَمْ أَنْتَ مِنْ قَزَعِ الدَّجَى سَرَبُ !
 إِنِّي أَخَافُ يُمِيتُنِي الشُّرْبُ !
 نَفِضْتُ عَلَى شَهَقَاتِهَا الْحُجُبُ
 لَا تَأْنِثُ يَيْكِي وَلَا صَبُ !

جُنَّ الظلامُ واستَ أَرْهَبُهُ
تَهْدِيرُهُ يَأْسِي ... وَظُلُمَتُهُ
هَدَرَتْ وَسَاوِسُهُ ! فَقُلْتُ لَهَا :
الرَّيْحُ تَعْرِفُ كَيْفَ أَحْضَنُهَا
أَنَا مِنْهُ وَهُوَ كَيْفَ يَنِي الرَّحْبُ
قَلْبِي ... وَرَجَعُ رِيَا حِ نَدْبُ
لَا أَنْتِ مُفْرِعَةٌ وَلَا النُّكْبُ
وَاللَّيْلُ يَعْلَمُ أَنَّي حَدْبُ !

* * *

يَا لَيْلُ قَدْ كَ ! فَأَيْنَ تَذْهَبُ بِي
عَبَثًا أَهْمُ فليسَ فِي أَفْئِي
لَا شَيْءَ يُومِيءُ لِي فَاتَّبِعْهُ
الْأُمْنِيَّاتُ ذَوَتْ ! فَوَالْهَنِي
قَلَقُ الْفَرَاغِ يُشِيرُ بِي قَلَقِي
الشُّوْكَ فِي دَرْبِي وَقَدْ عَصَفَتْ
وَالْفَيْءُ يَقْبِضُ ... لَا يُظْلِمُنِي
لَا أَنْتِ تَرَأْفُ بِي وَلَا الشُّهْبُ !
إِلَّا الْأَسَى وَالْوَهْمُ وَالْكَرْبُ
وَيَشِيْعُ فِي خُمَارِهِ الْعَذْبُ
مَاذَا يُؤْمَلُ بَعْدَهَا اللَّبُّ !
فَأَكَادُ أَصْرُخُ : مُتْ يَا رَبُّ !
بِالْأُمْنِيَّاتِ زَعَارِعُ نَكْبُ
أَتَرَاهُ هَمْ قَرَدَهُ الرُّعْبُ ؟

إِنِّي وَأَدْتُ رَغَائِي وَدَدِي^(١)
تَتَزَاوَعُ الزَّفَرَاتُ مِلءٌ فِي
وَتَمُرُّ بِي الذُّكْرَى فَأَتَّبِعُهَا
يَتَوَثَّبُ الْقَلْقُ الْحَبِيسُ لَهَا
وَأَسِيرُ أَرْقُبُهَا وَفِي كَبْدِي
وَأُنْهِنُهُ الْعَيْنَ الَّتِي طُرِفَتْ

يَا لَيْلُ كُنْتَ وَكَانَ لِي أَمَلُ
فَإِذَا الطَّرِيقُ يَضِيقُ بِي وَإِذَا
وَإِذَا بِأَطْيَافِ الرُّوَى مِرْقُ
الرُّوَضِ جَفَّ ! فَلَيْسَ يَجْذِبُنِي
إِنِّي لَأَذْهَلُ .. ثُمَّ يَوْقِظُنِي

(١) لهوي .

وَرَجَعْتُ : لَا أَمَلُ وَلَا رَغْبُ
وَيَمُوتُ خَلْفَ شِفَاهِي الْعَتَبُ
وَيَقَرُّ فَوْقَ رَفِيفِهَا الْهَدْبُ
وَيَمُوتُ فَوْقَ سَرَابِهَا الْوَثْبُ
نَارٌ وَمِلءٌ أَضَالِعِي حَرْبُ
حَذَرَ الْبَكَاءِ .. فَيَذْرِفُ الْقَلْبُ !

أَسْعَى إِلَيْهِ .. فَخَانَنِي الدَّرْبُ
بِالْدَّمْعِ فَوْقَ تُرَابِهِ سَكَبُ
وَالْحُلْمِ حِينَ أَقْيَمُهُ نَهْبُ !
أَيْنَ الشَّدَى يَا لَيْلُ وَالْعُشْبُ ؟
أَنِّي ضَلَلْتُ وَفَاتَنِي الرُّكْبُ

بالأمس أغدق منبعمي وجرى
قد جئتُ للدنيا وبني مَرَحٍ
وضحكتُ في يفع الصبا .. فنأى
وفتحتُ للأنوارِ أفقَ غدي
أقبلتُ ألمسه فردَّ يدي
حُلمٌ قُتِلتُ به ! فيا كبدي
لم يبقَ فيه من الحياة سوى

واليومَ غاضَ وأجذبَ التُّربُ
ورجعتُ يهضرُّ روعي الخطبُ
عني الشبابُ ... وأقفرَ اللبُّ
فإذا الدُّجْنَةُ فيه تنصبُ
وعلى أناملها دمٌ مرُّ
إنعزَّ جراحك .. إنه القلبُ
رمقٌ يجفُّ وومضةٌ تحبُّ !

مُفِيَّة

إِذَا مَا أَحْلَوْكَ اللَّيْلُ وَغَمَّ فِضَاؤُهُ الْأَكْلَحُ
وَرَاخَ الْكُوكَبُ الْمَدْعُو رُ فِي أَنْحَائِهِ يَسْبَحُ
وَوَدَّ الْقَلْبُ لَوْ يَزْهَدُ نَقْ هَذَا اللَّيْلُ أَوْ يَبْرَحُ
تَذَكَّرْتُ رُؤْيَا الْفَجْرِ الْـ لَذِي كُنَّا بِهِ نَمْرَحُ
فَإِذْ بِاللَّيْلِ قَدْ ضَاءَ وَهَمَّ الْقَلْبُ أَنْ يَصْفَحُ !

☆ ☆ ☆

وَإِنْ أَزْرَى بِي الدَّهْرُ وَأَهْرَقَ خَطْبُهُ كَأْسِي
وَضَاقَ الصَّدْرُ بِالْقَلْقِ الْـ لَذِي يَكْمُنُ فِي حِصِّي
تَذَكَّرْتُ .. وَمَا أَكْثَرُ رَ مَا أَذْكُرُ مِنْ أَمْسِي

رؤى الحلم الذي أدب
فاذ بالدهر قد قر
ر بالبهجة والأنس
وشاع الأمن في نفسي !

☆ ☆ ☆

وإما عَضَّني الفقرُ
وأقفرت الدروبُ فما
وأرَهَقَ كاهلي دينا
أرى صعباً ولا هينا
وضاقت العقلُ بالقلبِ
تذكرتُ غنى الحبِّ الـ
لذي يَعْمُرُ قلوبنا
لا شيءَ يَعِينُنَا !!
فاذ بالأرضِ والأحيا

موج من السماء

أيُّ هذا القلقُ المشبوبُ في القلبِ : تَرَفَّقْ !
غمرتني مَوْجَةٌ تطفحُ بالوجْدِ وتَفْهَقُ
تترأى بالهوى المظنونِ والوهمِ المُلَفَّقِ
كلَّما طالعتُها ضجَّ بي الشوقُ وأحْدَقَ !

* * *

لستُ بالمُبْصِرِ شيئاً ! غيرَ أنِّي في اضطرابِ
يترامى قلبي الظُّمَأَتُ في كلِّ سَرَابِ
وأنا في غَمْرَةِ الأشواقِ لا أُدْرِكُ ما بي
أَتَظَنِّي ... فيلذُّ القلبَ ظَنِّي وارْتِيابي !

وَإِذَا وَجَّهَكَ فِي الْأَفْقِ حَيٌّ يَتَطَّلَعُ
وَعَلَى أَهْدَابِكَ الْوُطْفِ خِيَالٌ يَتَمَنَّعُ
وَالْمَنَى فِي طَرْفِكَ الْحَارِ ظَمَأٌ تَتَدَفَّعُ
تَرْمُقُ الْحُلَمَ الَّذِي عَاثَ بِهِ الدَّهْرُ فَتَدْمَعُ !

* * *

أَيُّهَا الطَّيْفُ الَّذِي يَعْبُرُ دُنْيَايَ وَيَجْرِي !
هَاهُنَا الْقَلْبُ الَّذِي أَصْفَيْتَهُ أَثْمَنَ ذُخْرِ
لَمْ يَجِدْ بَعْدَكَ مَا يَحْلُو مِنَ الْعَيْشِ وَيُغْرِي
وَدَّ لو يَعْلَمُ لِمَ يَبْقَى ... وَلَكِنْ كَيْفَ يَدْرِي ؟

* * *

وَتَرَفَّقْتُ بِقَلْبِي ... وَتَتَبَّعْتُ خُطَاكَ
أَحْبَسُ الْأَدْمَعَ فِي الْجَفْنِ وَأَمْشِي فِي ارْتِبَاكَ

كَمَا حَدَّثْتُ فِي الْأُفُقِ تَرَاءَيْتِ هُنَاكَ
وَكَأَنِّي لَا أَرَىٰ فِي زَحْمَةِ الْكَوْنِ سِوَاكَ !

✧ ✧ ✧

لَيْلَ ! هَذَا مَوْعِدٌ .. لَكِنَّهُ مِنْ صُنْعِ رَبِّي
قَدَّرَتْهُ يَدُهُ الْبَيْضَاءُ فِي لَحْظَةٍ حُبٍّ !
قَالَ لِي الرُّوحُ وَقَدْ أَشْفَقَ أَنْ يَطْفَحَ كَرْبِي
أَتَرَاهَا ..؟

قُلْتُ : فِي عَيْنِي وَأَحْلَامِي وَقَلْبِي !

١٩:٨

من الله عمار

أَيُّهَا النَّجْمُ ! دُمْتَ فِي إِشْرَاقِ جُنِّ صَبْرِي فَهَلْ تَحُلُّ وَثَاقِي ؛
أَمَلِي فِي السَّمَاءِ وَالْجِسْمِ بَاقٍ فَوْقَ أَرْضِ الْهَمِّ وَالْإِرْهَاقِ .
كَذَبَ الْقَلْبُ ! أَيْنَ ثَوْرَةُ يَأْسٍ فِيهِ تَوْدِي بِالْجُنِّ وَالْإِشْفَاقِ
أَتُرَانِي تَرَكْتُ خَلْفَ خُطَايَ الْأَيَّامِ دُنْيَا شَبَابِي الدَّفَاقِ
أَمْ رَأَى الدَّهْرُ أَنَّ أَمُوتَ وَفِي الْقَلْبِ بَقَايَا تَنْدُمٍ وَاحْتِرَاقِ !
يَا لِنَفْسِي ! أَكَادُ أَنْكِرُهَا الْيَوْمَ وَلَكِنْ مَاذَا يُفِيدُ إِبَاقِي ؛
غَيَّرَتْهَا السَّنُونُ فَهِيَ حُطَّامٌ مِنْ بَقَايَا الشَّجْوَنِ وَالْأَشْوَاقِ
أَنْغَضْتُ رَأْسَهَا وَقَدْ قَهَقَهُ الدَّهْرُ وَأَصْغَتْ إِلَيْهِ فِي إِطْرَاقِ
وَيَحَهَا وَيَحَهَا ! أَلَا تَنْبُذُ الْجُبْنَ وَتَقْضِي عَلَى السَّنِينِ الْبَوَاقِ

وَيْحَهَا لَا تَتَوَرُّ ! وَالْأَلَمُ الْجَارِفُ يَجْرِي فِي غَوْرِهَا الْخَفَاقِ ؛
أَتُرَاهَا تَعْلُ مِنْ خَمْرَةِ الْأَمْسِ وَتَسْهَوُ عَنِ الرَّحِيقِ الْبَاقِ
أَمْ تُرَانِي بِهَا أَكْفَرُ عَنْ حُلْمٍ خَفِيَ يَقْرُ فِي أَعْمَاقِي ؛ !

* * *

أَيُّهَا النَّجْمُ ! دُمْتَ فِي إِشْرَاقِ جُنِّ صَبْرِي فَمَنْ يَحُلُّ وَثَاقِي ؛
الليالي لَمْ تُبْقِ مُذْ عَلِقْتَنِي غَيْرَ يَأْسٍ فِي الْقَلْبِ غَيْرِ مُطَاقِ
خَنَقَتْ كُلَّ رَغْبَةٍ فِيَّ حَتَّى مَا أَرَى فِي الْحَيَاةِ غَيْرَ نِفَاقِ !
شَعَّتْ كُلَّ مَا رَسَمْتُ مِنَ الْحُلْمِ وَأَوْدَتْ بِوَهْمِي الْبَرَّاقِ
وَطَوَتْ فِي ظَلَامِهَا حُلْمَ الْعُمُرِ وَأَنْسَ الْقُلُوبِ وَالْأَحْدَاقِ !
عَبَثًا أَحْدَجَ الْفَضَاءُ ! فَمَا أَبْصِرُ غَيْرَ الشُّكُونِ وَالْإِمْلَاقِ
لَا خِيَالَ أَمَامَ عَيْنِي يَسْعَى لَا ... وَلَا مُنِيَّةَ وَرَاءَ الْمَآقِي
بَلْ فَرَاغٌ تَضِلُّ فِي تِيهِهِ الرُّوحُ وَتَعْيَا بِقَطْعِهِ أَشْوَاقِي

كُلَّمَا أَوْغَلَ الْخِيَالُ تَرَاءَتْ فَوْقَ عَيْنِي كَأَبَةُ الْإِخْفَاقِ
وَكَانَ الزَّمَانُ أَغْلَقَ دُونِي كُلَّ بَابٍ يَخَالُ مِنْهُ أَنْطَلَاقِي !
أَيُّهَا النُّجُومُ ! أَيُّ شَيْءٍ تُرَى يَكْمُنُ خَلْفَ الْغَيُومِ وَالْآفَاقِ ؟
الْهَزَارُ الْحَزِينُ لَنْ يَعْْبُرَ الْغَابَ وَيُصْغِي لِنَغْمَاتِ السَّوَاقِ
الزَّمَانُ الْعَتِي شَلَّ جَنَاحَيْهِ وَأَغْرَى يَدَيْهِ بِالْأَطْوَاقِ !
أَيُّهَا النُّجُومُ ! لَنْ نَعُودَ لِعَهْدٍ كَانَ دُنْيَا مِنْ الرَّجَاءِ الدَّفَاقِ
أَنَا ذَاوِ غَدَاً إِذَا ذَوِيَ الْوَرْدُ وَمَرَّ الْخَرِيفُ بِالْأُورَاقِ
نَازِفٌ مِنْ دَمِي بَقِيَّةَ حُلْمٍ خَلَفَتْهَا الْأَيَّامُ فِي أَغْرَاقِي !

* * *

أَيُّهَا الْخَرِيفُ ! لَا أَرْهَبُ الرِّيحَ .. فَعُدْ بِالْغَيُومِ وَالْإِبْرَاقِ
الرَّبِيعُ الَّذِي أُؤَمِّلُ وَلَّى فِي ذُحُولٍ وَرِقْبَةٍ وَأُسْتِيَاقِ !
أَنَا شَيْخٌ أَدَبُ فِي شُعْبِ الْأَرْضِ وَأَهْذُو بِغُرْبَتِي وَفِرَاقِي

أَنْزُوي في الحياة .. أَذْكَرُ دُنْيَايَ .. وَأَحْيَا في الأُمْنِيَّاتِ العِتَاقِ
أَنْشُرُ الذِّكْرِيَّاتِ بَيْنَ يَدَيَّ يَوْمِي وَأَرْنُو لَهْنًا فِي اسْتِغْرَاقِ
وَعَلَى الْمُقْلَتَيْنِ نَظْرَةً يَأْسٍ خَلَفَتْهَا الكُرُوبُ فَوْقَ حَدَاقِي !
أَنَا شَيْخٌ أَمُرُّ بِالْأَرْضِ سَأْمَانًا وَأَطْوِي الحَيَاةَ فِي إِشْفَاقِ
وَأَرَى الحُلُمَ كَيْفَ يَفْنَى عَلَى الجَفْنِ وَتُخْبِرُ رُؤَاةُ فِي أَعْمَاقِي !
أَيُّ هَذَا الحَرِيفُ ! عُدْتُ إِلَى الْأَرْضِ .. فَمَاذَا لَقِيتَ فِي آفَاقِي ؟
كُلُّ شَيْءٍ قَدْ مَاتَ ! غَيْرَ حَنِينٍ خَالِدٍ فِي دَمِي وَفِي أَحْدَاقِي !

١٩٤٨

هبا

فضاؤك مُرَبَّدٌ وَأَفْقُكَ مُغْلَقُ
وَلَيْلُكَ مُمْتَدَّةٌ ... فَأَيْنَ تُحَدِّقُ ؟
وَأَيْنَ تُرَى تَمُضِي وَقَدْ هَلَكَ الضِّيَاءُ !
أَلِلْغَيْبِ ؟ إِنَّ الْغَيْبَ خَافٍ مُغْلَقُ !
حَيَاتُكَ أَهْوَالٌ فَكَيْفَ تَجُوزُهَا
وَدَرْبُكَ أَشْوَاكٌ ، وَصَدْرُكَ ضَيِّقُ
وَهُدْبُكَ مَذْهُولُ الرُّعَاشِ كَأَنَّهُ
عَلَى دَمْعَةٍ حَرَّى يَرِفُ وَيُطْبِقُ !
أَرَاكَ أُجْتَوَيْتَ الْكَائِنَاتِ وَعَفَّتْهَا
وَأَقْبَلْتَ تَخْطُو فِي الظَّلَامِ وَتَطْرُقُ

تَظَلُّ تُغِذُّ السَّيْرَ هَيَامَ لَا تَعِي
وَطَرْفُكَ فِي الْأُفُقِ الْقَصِيَّ مُعَلَّقُ
فَتَقْرَأُ فِي رُحْبِ الْفُضَاءِ صَحَائِفًا
يَفْضِيحُ لَهَا بِأَكِّ وَيَزْفُرُ مُصْعَقُ
وَفِي الدَّرْبِ أَوْرَاقُ تَكَادُ تَقُولُ لِي:
هُوَ الْعُمُرُ أَوْرَاقُ تَجِفُّ وَتُسْحَقُ!
وَأَنْتَ بِأُذُنِي الرِّيحُ كَأَنَّهَا
صَدَى ذَكَرِيَّاتٍ كَانَتْ الْأُمْسُ تَنْطِقُ
وَفِي الدَّغَلِ الْمُتَلَفِّ غَمَمٌ طَائِرُ
وَهَيْئَتُ خُفَاشٍ وَأَنْتَ مُطَوَّقُ
وَفِي وَسْوَساتِ الْمَاءِ يَخْتَلِطُ الصَّدَى
فَيَنْبَعِثُ الشَّجْوُ الْعَمِيقُ وَيَدْفُقُ

يَكَادُ إِذَا أَصْغَيْتُ يَرْفُرُ بِالْأَسَى
فَأَشْفِقُ مِنْهُ فَوْقَ مَا كُنْتُ أَشْفِقُ !
مَدَى تَرْتَمِي فِيهِ الظُّنُونُ وَتَنْتَهِي
وَيَنْعَدِمُ الْحِسُّ الْكَلِيلُ الْمُوثِقُ
هُنَاكَ وَرَاءَ الْأُفُقِ تَلْتَمِعُ الرُّؤَى
وَتَسْتَيْقِظُ الرُّوحُ الَّتِي تَتَشَوَّقُ
فَضَاءً يَضِلُّ الْقَلْبُ فِيهِ طَرِيقَهُ
فَيَقْتَادُهُ الشُّوقُ الْخَفِيُّ الْمُؤَرِّقُ
إِلَى عَالَمٍ مَا إِنَّ تَحَسُّ حُدُودَهُ
تُحَلِّقُ فِيهِ الذِّكْرِيَّاتُ وَتَخْفِقُ
يَحُطُّ بِهِ الْمَكْدُودُ ثِقَلَ حَيَاتِهِ
وَيَسْتَرْوِحُ الْخَفْضَ الشَّبَابُ الْمَفَرَّقُ

وتنبض أحلامٌ وتحيا مشاعرٌ
ويغفل أسوافٌ ويهدأ مرهقٌ !

* * *

إلى أين أمضي يا زمان ! فإنني
أراني في فك الحياة أمزق
ففي جدد الأيام مني حشاشة
وفي طرق الأحداث حلمٌ ومنطقٌ !
إلى أين أمضي ؟ إن في الدرب ظلمة
يراع لها القلب الشقي ويفرق
إذا سرت أضواني الحنين وهديني
وساء لي قلبي : إلى أين تُعنيق^(١) !

(١) تسرع .

إِلَى أَيْنَ ! يَا لِّلشُّخْرِيَّاتِ .. أَأَيْنَ لِي ؟
وَأَيْنَ ... لِمَن يَدْرِي مَدَاهُ وَيَسْبِقُ
وَأَيْنَ .. لِمَن عَاشَتْ أَمَانِيهِ وَارْتَوَى
وَزَيْنَ دُنْيَاهُ الرَّجَاءُ الْمَحَقَّقُ
وَأَيْنَ .. لِمَن تَصِفُو رُؤَااهُ فَلَا يَرَى
سِوَى النُّورِ فِي أَيَّامِهِ يَتَأَلَّقُ !
إِلَى أَيْنَ يَا قَلْبِي ! لَقَدْ وَقَبَ الدَّجَى
وَأَنْتَ إِلَى مَا لَسْتُ أَدْرِي تُحَدِّقُ !
لِكُلِّ أَمْرٍ يَوْمٌ يَلْمُ شَتَاتَهُ
وَأَنْتَ مِنَ الْأَيَّامِ شِلْوٌ مُمَزَّقُ
فَلَا أَنْتَ فِي مَاضٍ وَلَا أَنْتَ فِي غَدٍ
وَلَا يَوْمُكَ الْيَوْمُ السَّعِيدُ الْمُوَفَّقُ !

أَأَنْتَ الَّذِي أَفْنَيْتُ فِيكَ فُتُوِّي
وَأَنْفَقْتُ أَيَّامِي لَهُ أَتَحَرَّقُ
وَخِلْتُكَ دُنْيَا لَا يُحَدُّ جَاهِلُهَا
ظِلَامُكَ أَضْوَاءُ وَقُبْحُكَ رَوْثُكَ
إِذَا جِئْتُهَا كَفَّ الْفَوَادُ عَنِ الْبُكَاءِ
وَهَذِهِ مَيُّوْسٌ وَأَبْشَرَ مُطْرِقُ !
أَأَنْتَ ! أُمُّ الْحِلْمِ الَّذِي قَدْ نَسَجْتَهُ
فَلَمَّا انْتَهَى .. أَبْصَرْتُهُ يَتَخَرَّقُ
لَقَدْ شَوَّهَ الدُّنْيَا قَضَاءُ أَصَابَهَا
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ذَابِلٌ أَوْ مُحَرَّقُ
وَمَاتَتْ مُنَى غَذِيَّتِهَا بِحُشَاشَتِي
وَكُنْتُ لَهَا أَحْيَا وَأَزْهَى وَأَوْرَقُ !

أأنت ! أم الماء الذي قد تَبِعْتُهُ
فإِذْ هو آلٌ أَسْتَقِيهِ فَيَأْبِقُ !
لقد مَحَتِ الأَقْدَارُ مَا خَطَّتِ المُنَى
وَأَخْلَقَ حُلُمٌ كُنْتُ مِنْ قَبْلُ أَخْلُقُ
فلا تُعْرِني يادهرُ ! أَنْتَ مُلَفَّقُ
فأنا ؟ ما الأَيَّامُ .. إِنْ كُنْتَ تَصْدُقُ ؟
هَبَاءٌ هِيَ الدُّنْيَا ! هَبَاءٌ هِيَ الرُّؤْيَا !
هَبَاءٌ هَبَاءٌ كُلُّ مَا أَنَا أَرْمُقُ !

في الهيب الذكرى

لَكَ قَلْبِي ! فَهْدِهِدِيهِ قَلِيلًا قَبْلَ أَنْ يَنْفُضَ الْحَيَاةَ مَلُولًا
وَأَجِيلِي يَدَيْكَ فِي صَدْرِهِ الدَّا مِي وَمُسِّي جَنَاحَهُ الْمَشْلُولَا !
لَكَ قَلْبِي ! فَمَنْ أَضَلَّكَ عَنْهُ وَثْنِي ذَلِكَ الْخِيَالَ طَوِيلَا ؟
إِيهِ يَا ذَكْرِيَاتُ ! يَا مَوْكِبَ الْأُمِّ سِ ! وَيَا ظِلَّهِ الَّذِي لَنْ يَحْوِلَا
إِيهِ يَا ذَكْرِيَاتُ ! لَا تُنْكِرِي الْقَدُّ بَ وَلَا تَحْرِمِي الْفَوَادَ دَلِيلَا
أَنْتِ مُبْقِيَا الرِّحِيقِ فِي شَفَةِ الْكَأ سِ فَهَلَّا تَقَعْتِ مِنْهُ غَلِيلَا ؟
وَفَرَفِي فِي الْخِيَالِ يَهْفُ لَكَ الْعُمِّ رُ وَتَنْعَمُ بِكَ الْجَفُونُ قَلِيلَا
وَحُذِي دَرَبَكَ النَّدِيِّ إِلَى الْقَدُّ بِ وَشُقِّي إِلَى رُؤَاهِ سَبِيلَا
هُوَ مَأْوَاكِ ! فَاْمَنْحِي رُكْنَهُ النَّو رَ وَبُثِّي بِهِ النِّعِيمَ شُكُولَا

بات يرعاك والاسى ملء عينيه هـ ! فطوبى لقد وجدت خليلا
كلما قيل : عابراً ! حدج الأفق ق وأجرى على صباك سيولا !

* * *

هو عام قد مر ! لكنه مـ ر وأبقى في المهجتين نصولا
هو عام حطمت يادهر فيه كل ما كان لي رجاء وسولا
وزعت النعيم .. والأمل الحـ ي .. وصنت العذاب لي إكليلا
كنت منه بموعده ! أترع الكأ س وألقى الغناء والتهليلا
وأهيل التراب فوق رؤى اليا س وأستقبل الربيع الظليلا
فإذا بالزمان يصفع دُنيا ي ويهوي على غدي تفتيلا
وإذا بي أهيئ فيه مع الوحـ ش وأحيا مُشرداً مخبولا !
قبضة العام ! ويك لا تنهري العـ ر ولا تنبذيه سلواً عليلا
أنت لم تقطمي الزمان ! ولكن أنت حطمت أكبداً وعُقولا !

إِيهِ يَا ذَكَرِيَّاتُ ! عُدْتُ إِلَى الْقَبْرِ
جِئْتُ دُنْيَا الْفَنَاءِ أَتَحْمِلُ جُرْحِي
ضَجَّتِ الْأَرْضُ حِينَ لَحْتُ وَمَا جِئْتُ
مَنْ تَرَى ! واقِفُ ! يُقْلِقُ نَعْمَا
لَا تُرَاعِي يَا أَرْضُ ! فَالْقَلْبُ قَدْ هُ
لَا تُرَاعِي ! فَلَيْسَ غَيْرُ شَقِيٍّ
جَاءَ يَبْكِي عَلَى تُرَابِ أَبِيهِ
إِيهِ يَا قَبْرُ ! كَيْفَ أَرْجِعُ لِلدُّنْ
أَوَّلًا تَذَكُّرُ الْفَوَادِ الَّذِي جُ
وَارْتَمَانِي عَلَيْكَ أَشْكُو إِلَى اللَّهِ
أَيُّهَا الْقَبْرُ ! سَلْ حَشَائِشَكَ الْخَضْ
شَرِبْتُ مِنْ دَمِي ! وَعَبَّتْ دُمُوعِي
رِ أَنْ أُنَادِي .. فَهَلْ أَشِيمُ خَلِيلًا ؟
عَلَّ فِيهَا عَنْ الْحَيَاةِ بَدِيلًا
وَشَكَ أَهْلُهَا قَبِيلًا قَبِيلًا :
نَا وَيُعْرِي بِنَا الْعَذَابَ الْوَبِيلًا ؟
دَّ .. فَرَفَقًا وَإِنْ ضَجَرْتُ قَلِيلًا !
يَشْرَبُ الدَّمْعَ مُبْكِرَةً وَأَصِيلًا
وَيُرَوِّي الثَّرَى دَمًا مَطْلُولًا !
يَا .. وَقَدْ خِلْتُكَ الْغَدَاةَ مَقِيلًا ؟
نَ .. أَلَا تُبْصِرُ الْوُجُومَ الثَّقِيلَا
يَ وَأَبْكِي شَبَابِي الْمَقْتُولَا !
رَاءَ تُنْبِتُكَ عَنْ بُكَايَ طَوِيلَا
وَرَمَتْنِي عَلَى الثَّرَى فَخَذُولَا !

يا لروحى ! يَمُرُّ في بالها الأُمُّ
 صُورٌ تُسَعِّرُ الحَنِينَ فيمضي
 هوذا الرُّوضُ ! والندى يَلْتُمُ الزُّهْدَ
 والغديرُ الدَّفَاقُ يَهْمِسُ أَنَّ هُ
 أَسْأَلُ القلبَ : هل نَعُودُ ؟ فَيَغْضِي
 عَجَبًا يا قِضَاءَ ! كيف مَضَى الأُمُّ
 غَابَ عن ناظري وما زِلْتُ أَحْيَا
 أَتُرَانِي ضَلَلْتُ دَرْبِي إِلَيْهِ
 أَمْ تُرَانِي عَشَوْتُ ، وَأَنْقَلَبَ الْعُمُ
 أَوْ أَهْذِي ؟ أَمْ تِلْكَ صَرْخَةُ رُوحِ
 وَيْلَكَ يَا قَلْبُ ! كيف لَا تُنْكِرُ الْأَرْ
 ما الذي يَرْسُمُ الخيالُ على أَفْ
 سِ قُ فَيُخَيِّ لها الرِّجاءَ القَتِيلَا
 قَلَقًا وَارِيًا وَأَمْنًا ضَائِلَا
 رَ وَيُذِمِّي شِفَاهَهُ تَقْبِيَةً لَا
 بَّ .. فَأَهْوِي عَلَيْهِ نِضْوًا كَلِيلَا
 دَامِعَ الجَفَنِ وَاجِمًا مَخْبُولَا !
 سِ وَمَا زَالَ فِي هَوَايَ مَثُولَا
 فِي رُؤَاةٍ مُخَبَّاتٍ لَا مَذْهُولَا !
 أَمْ تَخَذْتُ الوَهْمَ الغَوِيَّ دَلِيلَا
 رُ ، وَعَادَ اليَقِينَ شَكًّا ثَقِيلَا ؟
 وَجَدْتَ حُلْمَهَا المُنِيفَ طُلُولَا !
 ضَ وَقَدْ أَثْقَلَتْ يَدَيْكَ كُبُولَا ؟
 قِكَ حَتَّى تَخَالَه مَعْقُولَا ؟ !

أَنَا مَيِّتٌ وَإِنْ جَهِلْتُ ! وَوَهُمْ لَنْ تَرَى مَا حَيَّتَ لِي تَأْوِيلًا !

* * *

إِيَّاهُ يَا ذِكْرِيَاتُ ! هَلْ يَرْجِعُ الْأَمْدُ
أَتُرَانِي أَزِيحُ أَسْدَالَ رُؤْيَا
وَيَجِفُّ الْأَنْبِيَاءُ فَوْقَ شِفَاهِي
وَيَعُودُ الْغَمْدُ يَطْفَحُ بِالرِّ
وَيَقْرَأُ الْفَوَادُ .. وَالطَّرْفُ .. وَالشَّوْ
وَيَبْكُ قَلْبِي ! أَلَمْ تَزَلْ تَرْقُبُ الدَّهْدَ
أَوْ مَا أَذْبَرَ الزَّمَانَ وَأَبْقَى
أَوَّلًا تُبْصِرُ الرَّمَادَ عَلَى فَوْ
أَنَا وَحْدِي يَا قَلْبُ أَحْيَا مَعَ الْيَأْ
فِي دَمِي ثَوْرَةٌ سَتَحْطِمُ نَفْسِي

سُ وَيَمْحُو عَذَابِي الْمَوْصُولَا ؛
يَ فَأَلْنِي جَمَالَهُ الْمَنْفُولَا
وَيَعُودُ الزَّمَانُ حُلُمًا جَمِيلَا
يَّ وَأُسْقَى مُصَفَّقًا سَلَسَبِيلَا
قُ .؟ أَمِ الْأَمْسُ لَنْ يُطِيقَ قُفُولَا ؟
رَ وَتَشْتَاكُهُ رَضِيًّا جَلِيلَا ؟
مِلْءُ جَنْبَيْكَ لَهْفَةً وَغَلِيلَا
دَيْكَ يَنْعَى شَبَابَكَ الْمَأْمُولَا ؟
سِ وَوَحْدِي أُصَارِعُ التَّغْلِيلَا
قَبْلَ أَنْ تَحْطِمَ الْمَدَى الْمَجْهُولَا !

إِيَّاهُ يَا ذَكَرِيَّاتُ ! قَدْ هَمَدَ الْقَلْدُ
 آمِ هَيْهَاتَ أَنْ يَعُودَ كَمَا كَانَا
 سَوْفَ أَبْكِي عَلَيْهِ مَا طَلَعَ الْفَجْدُ
 أَنَا وَحْدِي هُنَا أَوْدَعُ عُمْرِي
 أَنَا وَحْدِي أَهْمُ فِي طُرُقِ الشَّوْ
 أَرْمَقُ الْأَفْقَ .. وَالرُّؤْيَا فَوْقَ عَيْنَيْ
 وَأَعْبُ السَّمُومَ مِنْ قَدَحِ الْيَأْسِ
 أَنَا وَحْدِي أَصِيحُ بِالْأَمَلِ الْمَيِّتِ
 إِيَّاهُ مَالِي أَحْسُ بِالْقَلْبِ يَغِيَا
 أَنْ يَا ذَكَرِيَّاتُ أَنْ نَبْرَحَ الْأَرْضَ
 سُبُّ فَبَلْ تَرْقُبِينَ عَنْهُ بَدِيلًا ؟
 نَ وَهَيْهَاتَ أَنْ أَكُونَ بِخَيْلَا
 رُ وَأَرْتِي بِهِ الشَّبَابَ الْقَتِيلَا !
 فَتِي تَزْمَعُ الْحَيَاةَ رَحِيلَا ؟
 لِي وَأَجْنِي مَوَاجِعًا وَنُحُولَا
 سِيَّ حَيَارَى تَسْتَطْلِعُ الْمَجْهُولَا
 سِ وَأَسْقِي جَنَانِي الْمَشْبُولَا !
 سَتِ ! فَيَأْبَى عَنِ الْمَنُونِ نُكُولَا !
 وَبِعَيْنِي تَسْهَوَانِ طَوِيلَا
 ضَ ! فَكُونِي لِي الْغَدَاةَ دَلِيلَا !

ق

ضالَّ انتظارُكِ فارُقُدي
 الليلُ يوشكُ أنْ يجيـ
 يا نفسُ ! عَذِّبكِ الحنيـ
 وأنا الذي زرعَ النـجو
 شطَّ الخيالُ ! فلمْ أجـدْ
 يا نفسُ ! ماذا ترُقـيـ
 أخذتِ أحلامي وكُنـدِ
 قلبي الذي أسغبتـه
 يحيا على قَيْظِ الهـجـيـ
 جحدَ الترابِ ولو درى
 ووهى اصطبارُكِ فاشهـدي
 سىءٌ وما سكنتِ لمقصدِ !
 منْ ونالَ منكِ تلذذـي
 مَ وقالَ : يا نفسُ أحصـدي
 غيرَ الدموعِ على يدي !
 منْ وقد وعيتِ تنهـدي ؛
 ستُ أظنُّها لم تخمـدِ
 وتركته في قدْفـدِ
 رِ واستجيرُ بحامـدِ
 بمسيره لم يجحـدِ

عاقبتُه وقد أَسْتَقَا
أَنَا نَاقِمٌ تَخْشَى الْأَضَا
أَمْشِي فَتَزْدَحِمُ الرُّوْى
سَأْمَانٌ تَحْمِلُنِي الظُّنُو
وَتَكَادُ تَخْبِطُ بِي الْخَطَى
حَتَّى أَكِلَ مَنْ الشَّرَى
يَا نَفْسُ ! مَاذَا تَأْمَلِي
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ مَا أُرِيدُ
أَنَا فِي الطَّرِيقِ مُحَيَّرٌ
أَخْشَى أَمْدُ يَدِي .. قَالَ
قَارَبْتُ أَنْ أَقْضِي .. وَحُدُ
يَا نَفْسُ ! لَوْ صَدَقَ الزَّمَا

مَ... فَبَلْ رَأَيْتِ تَمْرُدِي ؟
لَعُ نِقَمَتِي وَتَشَدُّدِي
فِي مُقْلَتِي وَتَغْتَدِي
نُ عَلَى جَنَاحِ أَسْوَدٍ
فِي كُلِّ دَرْبٍ مُجْهِدٍ
وَأَمَلٌ كُلُّ تَقَرُّدٍ !
بِنَ إِذَا تُرَكْتُ إِلَى غَدٍ ؟
مَدُّ لَمَّا رَأَيْتِ تَرَدُّدِي
وَالْهَفَاتُ لَوْ أَهْتَدِي
بِالشُّوكِ تَقْطِفُهُ يَدِي
مُ شَبِيبَتِي لَمْ يُوَلَدِ !
نُ لَكُنْتُ غَيْرَ مُقَيَّدِ

وَلَرُحْتُ أَغْفِرُ لِلْحَيَا
 أَنَا فِي الشُّكُوكِ أَكَادُ لَا
 عَزَّ الشِّفَاءُ مِنَ الْأَسَى
 تَسْمَى بِي الْحَسَرَاتُ خَدُ
 وَيَصِيحُ بِي الظَّمَا اللَّهُ
 أَخْشَى أَفْرًا مِنَ الرُّؤَى
 قِ ائْتَامِ يَوْمِ أَنْكَدِ
 أَجِدُ الرِّضَا فِي مَرْقَدِ
 وَظَلَلْتُ جِدَّ مُسَهَّدِ
 فَمَا مَرَّابِي الْمُتَجَدِّدِ
 فَمَا فَلَا أَفِيءَ لِمُورِدِ
 فَأُضِيعُ أَجْمَلَ مَوْعِدِ !

* * *

يَا نَفْسُ ! عَذِّبَكَ الْحَنِيْدُ
 فِي نَاطِرِيٍّ مِنَ الْحَيَا
 أَرُوي بِهَا ظَمًا الْمُنَى
 لَا .. لَا تَشْطَطْ بِكَ الظَّنُو
 أَخْشَى أَرِيقُ مُمَالَهَا
 نُنْ وَنَالَ مِنْكَ تَلْدُدِي
 قِ بَقِيَّةٌ لَمْ تَنْفَدِ
 وَمَرَارَةُ الزَّمَنِ الصَّدي !
 نُنْ فَمَا عَرَفْتَ تَوَجُّدِي
 فَيَضِجُ مِنْ قَلْقٍ غَدِي !

١٩:٩

ورقة ذليلة

بالله ! مَنْ حَطَّكَ فوق التُّرابِ وأَسْتَلَبَ النَّصْرَةَ من وَجْنَتِكَ ؟
ياورُقتي ! قد جَفَّ هذا الشَّبَابُ وَرَقَدَ الموتُ على صَفْحَتِكَ
والعُمُرُ وَهْمٌ والأَمَانِي سَرَابُ فكيف تَبْكِينَ على خُضْرَتِكَ !

ياورُقتي ! مَنْ أَثْمَتَ راحَتَهُ فَرَّاحَ يَنْقُضُ على غُصْنِكَ ؟
أَعَابِدُ يَكْشِفُ سِرَّ الحَيَاةِ أَمْ مُلْهَمٌ يَقْبِسُ من فَنِّكَ
أَمْ عاشقٌ قد أَخْلَفَتْهُ رِوَاةُ فودَّ لو يُدْفَنُ في حُضْنِكَ !

يَا وَرُقَّتِي ! لَمْ يَدْنُ هَذَا الْخَرِيفُ
رِيَا حُـهُ تَرْفُرُ ! يَا لِلْحُتُوفِ
أَخَافُ أَنْ تَتَّأَرَّ مِنْكَ الصُّرُوفُ
إِلَّا وَأَنْتِ النَّبْتَةُ الزَّائِفَةُ
تَعْبَثُ بِالْأُمْنِيَّةِ الرَّاجِفَةِ !
وَتَذْهَبُ الصَّيْحَةُ فِي الْعَاصِفَةِ !

* * *

يَدُوسُكَ الْعَمَابِرُ ! يَا لِلْأَثِيمِ
أَلَيْسَ فِي لَوْثِكَ لَوْنُ التَّعِيمِ
يَا وَرُقَّتِي ! مَنْ لِلشَّقِيِّ الْكَائِمِ
كَأَنَّهُ لَيْسَ يُحِسُّ الْجَمَالَ !
وَمِلْءُ طَيَّاتِكَ دِفْءُ الظَّلَالِ ؛
إِنْ خَلْفَتَهُ الرِّيحُ فَوْقَ الرَّمَالِ !

* * *

أَوْدُ لَوْ تَنْبِضُ هَذِي الشَّفَاءُ
أَوْدُ لَوْ أَسْكُبُ فِيكَ الْحَيَاءُ
وَيَرْتَوِي عِرْقُكَ حَتَّى أَرَاهُ
وَتَسْتَقِي مَاءَكَ مِنْ أَدَمِي
وَيَغْتَذِي ضِلْمَكَ مِنْ أَهْلَمِي
لَمْ يَفْقِدِ الرَّيَّ وَلَمْ يُقْطَعْ !

والليلُ قد غمَّ ! وهذا الرواقُ تمَّذه الأجنحةُ القائمةُ
يا هـولَه ! يُذهِلُ تلكَ الحِداقُ وتفتلي فيه الرؤى العائمةُ
كأنه يَمُّ عَيُّ الوثاقُ ونحنُ فيه خُصلُ عائمَه !

* * *

وأنتِ في راحتي النَّاحِلَه يؤودُك الصَّمتُ فما تنبُسينُ
أقرأ في صفحتك الحائلَه نهايةَ السَّفرِ الذي تكتبينُ
كأنَّ دُنْيَاكَ رُؤى زائلَه يَحْتَلِطُ الشَّكُّ بها واليقينُ !

* * *

يا ورقتي ! إنِّي أخافُ الظُّنونُ وأتقي الأخيـلةَ الماكرَه
أخافُ أنْ تَقْلِبَ فيَّ اليقينُ فأجدُ القُبْحَ رُؤىً ساحرَه
أخافُ أنْ تُخَدَعَ هذي العُيونُ فتضحكُ الأرضُ بنا ساخرَه !

يا وَرَقَتِي ! هل تَرْجِعُ الذِّكْرِيَّاتُ
والأَمْسُ ! والأُخْيَلَةُ المَاضِيَّاتُ
أَيَذْهَبُ العُمُرُ وتُطْوِي الحَيَاةُ
أَمْ يَذْهَبُ العُمُرُ وتُطْوِي مَعَهُ ؟
وَعَدُّنَا ! والجَنَّةُ الضَّائِعَةُ
ورَوْحُنَا لَاهِفَةٌ جَائِعَةٌ !

يا وَرَقَتِي ! لم يَبْقَ إِلَّا العَـدَى
والبُومُ يَنْعَقُ نَعْمًا لِقَا الرَّدَى
يا وَرَقَتِي ! لا بُدَّ أَنْ نَرْقُدَا
يَبْنَوُ فِي الأفقِ فهل تَسْمَعِينَ ؟
وَأَنْتِ مَا زِلْتِ لَهُ تَنْظُرِينَ
فَأَسْأَلِي الرُّوحَ لِمَنْ تَعْبُدِينَ !

بِاللَّهِ ! مَنْ حَصَّكَ فَوْقَ التُّرَابِ
يا وَرَقَتِي ! قد جَفَّ هَذَا الشَّبَابُ
والعُمُرُ وَهُمْ والأُمَانِي سَرَابُ
وَأَسْتَلِبُ النَّصْرَةَ مِنْ وَجْهِكَ ؟
وَرَقْدَ المَوْتِ عَلَى صَفْحَتِكَ
فَكَيْفَ تَبْكِينَ عَلَى خُضْرَتِكَ !

١٩٥٧

فراق

أَنْبَاءُ مَيِّتٍ أَمْ أَنْيْفُ مُفَارِقٍ
وَزَفْرَةُ نَارٍ أَمْ تَأْوُهُ عَاشِقٍ ؟
أَحَدٌ فِي الدُّنْيَا فَافْرَقَ مِنْ دُجَى
يُظَلِّلُ أَيَّامِي وَيُوقِرُ خَافِقِي
فَلَا اللَّيْلُ نَدْيَانُ وَلَا الْبَدْرُ بَارِغُ
وَلَا النَّجْمُ فِي اللَّجِّ الْوَضِيءِ بَغَارِقِ
وَلَا الْقَلْبُ حَيٌّ يَشْرَبُ الْمُقْبِلِ
وَلَا الرُّوحُ ظَمَأَى تَسْتَجِيبُ لَوَامِقِ
مَوَاقِبُ أَيَّامٍ تَمُرُّ كَعَيْبَةٍ
مُرُورَ تَكْوَلٍ فَاقِدِ اللَّبِّ حَانِقِ

تَأَمَّلْتُهَا سُوداً كَأَنَّ ظِلَامَهَا
رُواقُ جَعِيمٍ فَاعْرِ الشَّدَقِ حَادِقِ
إِذَا رَمَقَتْهَا الْعَيْنُ أَذْهَلَهَا الْأَسَى
فَأَلَقْتُ عَلَى الْآفَاقِ نَظْرَةَ ضَائِقِ !

* * *

تَرَكَتُكَ لَيْلِي ! لَا رَجَاءَ أَحْسُهُ
وَلَا بُرَى أَرْجُو لِلْهَمومِ الطَّوَارِقِ
حَيَاتِي ماضٍ لَا أُطِيقُ فِرَاقَهُ
فَمَا زِلْتُ أَحْيَاهُ بِرَغْمِ الْحَقَائِقِ !
تَرَكَتُكَ مَيِّتاً لَا يُحْسُ وَجُودَهُ
كَأَنَّ خَطَأً قَدْ كَانَ بَيْنَ الْخَلَائِقِ
إِذَا طَرَقَتْ أُذُنِيهِ وَسُوسَةُ الدَّجَى
تَطَوَّحَ فِي لُجٍّ مِنَ الْوَهْمِ دَافِقِ

يُسَوِّرُ مِنْ أَوْهَامِهِ كُلَّ صَادِحٍ
فَيُبْصِرُ فِي أَيَّامِهِ كُلَّ نَاعِقٍ !
غَرِيبٌ ! كَأَنَّ الْأَرْضَ لَيْسَتْ بِأَرْضِهِ
وَأَنَّ الْفُضَاءَ الرَّحْبَ لَيْسَ بِشَائِقٍ
إِذَا مَا أَطْلَلَ النُّجْمُ نَدَى خِيَالَهُ
وَعَضَّ عَلَى حُلْمٍ مِنَ الْأَمْسِ طَارِقٍ !

* * *

أَنْتِ حَيَاةٌ يَا حَيَاةُ ! أُمُّ الرُّؤْيَا
أَقَامَتِكَ مِنْ وَهْمٍ خَدُوْعٍ مُنَافِقٍ ؟
وَالَا فَمَا أَلْقَاهُ مِنْكَ ؟ وَأَنْتِ لِي
ضَرْيُخٌ حُشَاشَاتٍ وَقَبْرٌ مَوَاقِقٍ !
أَنْتِ حَيَاةٌ أُمُّ شَقِيٍّ حَضَنَتْهُ
فَهَشَّمَ أَغْرَاسِي وَدَكَ حِدَائِقِي ؟

وهل أنتِ يا أيَّامُ غيرُ قَوافِلِ
تَجُبُّ إلى المجهولِ من غيرِ سائقِ !
أَضَعْتُ بها وَمُضَّ الرِّجاءِ فَأَقْفَرْتُ
رُؤَايَ وَغَابَتْ في الظلامِ طرائقي
تَلَفْتُ فيها أَسْتَشِفُّ شُعاعاً
تُضِيءُ ولكن عُدْتُ عَوْدَةً بَائِقِ !
تَكَلَّمْتُ نَفْسِي ! لا أُحِبُّ لِكَ البقا
وَعَفْتُكَ يا عَيْشِي ! فِلَمْ أَنْتَ لَاحِقِي ؟
ويا مَوْتُ قَد ماتَ الرِّجاءُ فَمُرَّ بِي
ويا رُوحُ قَد حُمَّ الفراقُ ففارقني !

١٩:٧

المودة

تلك أفيأوها يَهْدِيهَا الـيـلُ فتَغْفو قَرِيرَةً مَوْهُونَةً !
تَعْمُرُ الْحَيَّ بِالظَّلَامِ ! فَتُطَوِّى لَجَلَجَاتٍ .. وَتَسْتَقِرُّ سَكِينَةً
يَذْهَبُ الطَّرْفُ فِي مَسَالِكِهَا السُّودِ وَيَهْفُو إِلَى الظَّلَالِ الْحَزِينَةِ
وَحَفِيفُ الْأَوْرَاقِ يَسْرِبُ فِي الْأُذُنِ وَيُحْدُو إِلَى الْفؤَادِ أَنِينَهُ
وَكأنَّ الظَّلَامَ سِدْلٌ مِنَ الْغَيْبِ ! وَفِيهِ الدِّيارُ غَرَقَى دَفِينَةٍ !
جُمْتُهَا وَالْفؤَادُ قَدْ شَفَّهَ الشُّوقُ وَأَذَكَّى نُوَاحَهُ وَحَنِينَهُ
أَنْقَلُ الطَّرْفَ فِي نَوَافِذِهَا الدُّكْنِ وَأَرْنُو إِلَى رُؤَاهَا السَّجِينَةِ
وَأُنَادِي ! فَيَصْرُخُ الرُّوحُ لَهْفَاتٍ وَتَصْحُو جِرَاحُهُ الْمَدْفُونَةِ :
إِنِّهَا دَارُهَا ! فَقفْ أَيُّهَا الْقَلْبُ ... وَنَادِ الْمَوَاجِعَ الْمَكْنُونَةَ
وَأَبْكِ عَهْدًا حَمَلْتَهُ بَيْنَ جَنْبَيْكَ وَأَذَكَيْتَ فِي حَشَاكَ شُجُونَهُ

إِنَّهَا دَارُهَا ! فَلَا تَرْفَعِ الصَّوْتَ وَلَا تُثْقِلِ الرَّحَابَ الْأَمِينَةَ !
هَاهُنَا كَانَ عَالَمٌ يَأْسُرُ الْقَلْبَ وَيُخَيِّ مَوَاتِهِ وَفُنُونَهُ
عَالَمٌ تَعْبُرُ الظَّلَالُ حَوَالِيهِ وَتَسْرِي الْمَوَاصِبُ الْمَيِّمُونَ
شَوَّهَتُهُ الْأَقْدَارُ .. فَأَنْتَرِ الطَّلُ .. وَمَاتَتْ زَنَابِقُ مَفْتُونَهُ
فَهُوَ كَهْفُ الرَّوْيِ .. وَمَقْبَرَةُ الرُّوحِ .. وَنَعَشُ الْهَنَاءِ الْمَطْمُونِ
وَهُوَ فِي أَذْمَعِي عَصَاةُ حُلْمٍ بَدَّدَتْ رَاحَةَ الزَّمَانِ فُتُونَهُ
وَتَهَاوِيلُ لَيْلَةٍ أَبْلَتِ الْعُمَرَ وَدَكَّتْ أَفْرَاحَهُ وَظُنُونَهُ !

عُدْتُ لَيْلَايَ ! فَأَقْطِنِي الزَّنْبَقَ الْغَضَّ وَبُيَّ عَلَى الطَّرِيقِ غُصُونَهُ
وَأَجْتَنِي لِي مِنَ الرَّيِّعِ شَذَاهُ وَخُذِي لِي مِنَ الصَّبَاحِ جَبِينَهُ
وَقِفِي حَيْثُ تَعْلَمِينَ ! فَهَذَا مَوْقِفُ كُنْتِ أَمْسٍ لَا تُشْكِرِيَنَّهُ
وَيَحْ طَرَفِي ! أَحْسُ فِي فَمِكَ الرَّاجِفِ صَوْتًا وَدَدْتُ لَوْ تَخْنُقِيَنَّهُ

ما لعَيْنِيكَ تَدْمَعَانِ ! ! أَمِيرًا أَنْتِ تُخْفِينَ أَمِ أَسَى تَكُفْتِينَ ؟
ما تَقْوَايَنَ ! !.. يَا لِقَلْبِي مَنْ دَكَ رُؤَاهُ وَمَنْ أَطَالَ أَيْنَاهُ ؟
أَنَا قَدْ طُرِدْتُ مِنْ جَنَّةِ الْحَلَمِ وَمَدَّ الدَّجَى عَلَيَّ دُجُونَهُ ؟
أَوَمَاتَ الْهَزَارُ .. فِي فَمِهِ اللَّحْنُ ! وَحَازَ الْغُرَابُ أَرْوَاعَ زِينَتِهِ ؟
وَيْلَكَ يَا قَلْبُ ! لَا أَقُولُ لَكَ أُصْبِرْ .. لَا وَلَا أَسْأَلُ الْجَنَانَ سُكُونَهُ
مَاتَ سُؤْلِي وَكَانَ بِرَّ وَجُودِي كَيْفَ أَوْصِيكَ أَنْ يَلْذَكَ دُونَهُ !

* * *

عُدْتُ لَيْلَايَ ! عُدْتُ أَنْزِفُ عَيْنِي وَأَبْكِي عَلَى الرُّسُومِ الدَّفِينَةِ
عُدْتُ .. وَالْهَفَاتُاهُ لَمْ يَعُدِ الْعُمُرُ وَلَمْ تُرْجِعِ الْحَيَاةُ سَنِينَتَهُ !
قَذَفْتُ بِي الْأَقْدَارُ .. فَأَنْهَرَأَ الْحَلَمُ .. وَرَثْتُ صَحَائِفَ مَيِّمُونَهُ !
عُدْتُ لَيْلَايَ ! فَاذْكُرِي أَنَّنِي عُدْتُ .. وَقُولِي أَلَا تَعُودُ السَّكِينَةُ ؟
بُحَّ صَوْتِي ! وَلَسْتُ أَسْمَعُ إِلَّا نَبَأًا مِنْ هَوَايَ لَا تَجْهَلِينَهُ

صوتُ ماضِيٍّ .. صوتُ أَيْامِنَا الْحَيِّ .. وَبُقْيَا هَوَاجِسٍ مَكْنُونَةٍ !
إِيهِ لَيْلَايَ ! أَيْنَ حُلْمُ اللَّيَالِي أَيْنَ هَدْيُ الْحَيَاةِ أَيْنَ السَّفِينَةُ ؟
حَالَ فُلُكِي وَتَاهَ فِي الْعَيْلِمِ الْغَمْرِ فَوَارِثَمَتَاهُ ! هَلْ تَتْرُكِينَهُ
يَضْرِبُ الْمَوْجُ جَانِبَيْهِ فَيَلْوِيهِ وَيَرْمِي عَلَى الصَّخُورِ مُتَوَانَهُ
أَيْنَ رَبَّانُهُ فَقَدْ غَمَضَ الْأَفْقُ ... وَهَاجَتِ عَوَاصِفُ مَجْنُونَتِهِ
أَيْنَ شَطَطُ يَقِيهِ زَمَزَمَةٌ الرُّعْدِ وَيُلْقِي عَلَى الْعُبَابِ رُكُونَهُ
أَيْنَ رَبَّانُهُ فَقَدْ كَادَ يُوْدِي أَيْنَ رَبَّانُهُ .. أَلَا تَذْكُرِينَهُ ؟
إِيهِ لَيْلَايَ ! لَا يُغْرِكُ قَلْبُ مَرَّقَتِ طَعْنَةِ الْقَضَاءِ وَتَيْنَهُ
عَبَثًا تَنْظُرِينَ نَظْرَةَ إِشْفَاقٍ ! فَلَنْ تُرْجِعِي الْغَدَاةَ يَقِينَهُ
إِنَّهُ مَاتَ ! فَاتْرُكِهِ مُسَجَّيًّا يَمَلَأُ الشَّوْقُ رُوحَهُ وَعُيُونَهُ
وَإِذَا ذَكَرِي أَنَّهُ أَحَبَّكَ مَا عَاشَ ! وَقَوْلِي لِلْغَيْثِ يَنْفَحُ طِينَهُ
وَاسْكُبِي ثُمَّ دَمْعَةً ! ثُمَّ سِيرِي .. لَا تُبَالِي إِذَا وَعَيْتِ أُنَيْنَهُ !

نزهة يأس

تَقَضَّتْ أَخِيْلَةَ اللَّيْلِ عَنْ الْقَلْبِ رُؤَاهُ
وَتَلَوَّى الْيَأْسُ فِي عَيْنِي وَأَظْلَمَ دُجَاهُ !
يَقْظَةُ حَطَّتْ عَلَى الْقَلْبِ فَضَجَّتْ رِثَاهُ
وَأُرْتَمَتْ فِي جَفْنِهِ الْمُتَعَبِ أَطْيَافُ صِبَاهُ
فَإِذَا بِالْأَمْسِ أَشْوَاقٌ مُدْمَأَةٌ وَآهُ
وَإِذَا الْغَفْلَةُ فِي الْعَيْنِ حَنِينٌ وَانْتِبَاهُ !
يَا لِيَأْسٍ صَبَغَ الْعُمَرَ ! فَحَالَتْ صَفْحَتَاهُ
يُشْفِقُ الْقَلْبُ عَلَى أَشْلَائِهِ حِينَ يَرَاهُ
هَدَّ دُنْيَايَ وَأَوْدَتُ بِالْغَدِ الْحَيِّ يَدَاهُ
وَرَأَى الْحُلْمَ الَّذِي آثَرَ قَلْبِي فَمَحَاهُ !



رَحْمَةً أَيْتُهَا النَّفْسُ ! فَقَدْ طَالَ عَذَابِي
أَنَا فِي غَمْرَةٍ بَلَوَايَ وَغُمَاتٍ مُصَابِي
أَمْزُجُ الدَّمْعَ الَّذِي أَذْرِفُ بِالْقَلْبِ الْمَذَابِ !
لَمْ يَعُدْ فِي قَلْبِي الْمَوْحِشِ شَيْءٌ مِنْ رِغَابِي
كُلُّ مَا أَبْصِرُ فِي دُنْيَايَ مُفْضٍ لِلسَّرَابِ !
السُّرَى طَالَ ! وَهَذَا اللَّيْلُ لَا يَعْلَمُ مَا بِي
أَيَّ شَيْءٍ صَنَعَ الدَّهْرُ بِكَأْسِي وَشَرَابِي ؟
تَرَكَتْنِي سَوْرَةٌ الْيَأْسِ أَغَانِيَّ عَذَابِ
تَصْرُخُ اللَّاهِقَةُ فِي عِرْقِي وَتَبْكِي فِي إِهَابِي
كُلَّمَا أَسْكُتُهَا .. صَجَّ مِنْ السُّخْطِ شَبَابِي !



أَنَا يَا لَيْلَ ! أَمْ هَذَا خَيَالُ الذِّكْرِيَّاتِ
يَبْعَثُ الْأَمْسَ الَّذِي مَرَّ وَيُذَكِّرُ خَفَقَاتِي !
وَالْمُنَى الْبَيْضُ عَلَى كَفِّي أَشْلَاءُ رُفَاتِ
يَنْقُلُ الدَّهْرَ عَلَيْهَا خُطَوَاتِ حَذِرَاتِ
كُلَّمَا مَرَّ بِهَا .. مَرَّ بِخَوْفٍ وَأَنَاءِ
نَازِفًا فَوْقَ بَقَايَاهَا أَضَالِيلَ حَيَاتِي !
رَبِّ ! مَنْ سَوَّدَ دُنْيَايَ وَمَنْ قَيَّدَ ذَاتِي ؟
مَنْ تُرَى غَلَّ أَمَانِيَّ وَمَنْ كَمَّ شَكَايَ ؟
أَنَا فِي ثَوْرَتِي الْبُكْمَاءِ أَبْكِي أُمْنِيَّاتِي
وَأَحِسُّ الْفَلَقَ الْمُحْمَوْمَ يَجْرِي فِي لَهَاتِي !



لا تَلُومِي ! ذَهَبَ الدَّهْرُ بِإِيمَانِي وَشَكِي
لَمْ أَعُدْ أَحْفَلُ بِالصَّدَقِ وَلَا أَصْنِي لِإِفْكِ !
جَاعَ عُمْرِي ! فَمَضَى يَلْقَفُ بِلُؤَايِ وَضَحْكِي
وَجَرَى بِي الْفُلُكُ فِي الْيَمِّ فَهَدَّ الْمَوْجُ فُلُكِي !
أَنَا طَيْرٌ خَنَقْتُ أَنْعَامَهُ طَعْنَةً هُلَاكَ
مَاتَ إِلَّا خَفَقَاتٍ لَمْ تَزَلْ تَسْأَلُ عَنْكَ
وَصَبَا مُضْطَرِمُّ الْأَنْفَاسِ مَخْنُوقُ التَّشْكِي
حَازِرٌ يَفْتِكُ بِالْعُمْرِ .. وَلَكِنْ أَيُّ فِتَاكِ !
مَزَّقَ الْحِلْمَ الَّذِي عِشْتُ وَمَا رَقَّ لِنُشْكِي
وَضَفَا السِّتْرَ عَلَيْهِ فَتَوَارَى .. وَهُوَ يَبْكِي !

١٩٤٨

السناء

ذَكَرْتُ الْأَمْسَ ! فَأَنْتَفَضْتُ
تَلَوْتُ عَلَى شَبَابِ مُنَى
وَمَرَّ الطَّيْفُ فِي قَلْقٍ
وَرُحْتُ أَقْلَبُ الطَّرْفَ
يَكَادُ يُحَدِّثُ النَّفْسَ
وَيَنْقُلُنِي إِلَى أَفْقٍ
وَتَخْفِقُ فِيهِ أَوْهَامِي
وَأُضْغِي فِيهِ لِلشَّوْقِ الـ

رُؤَاهُ فَوْقَ أَحْدَاقِي
وَقَفْتُ عَلَيْهِ أَشْوَاقِي !
فَحَدَّقْتُ بِإِشْفَاقٍ
وَرَاءَ خَيَالِهِ الْبَاقِي
حَدِيثَ الْمُشْفِقِ الْوَاقِي
أُطِيلُ عَلَيْهِ إِطْرَاقِي
وَتَشَرُّدُ فِيهِ آمَاكِي
بِذِي يَمَلَأُ أَعْمَاقِي !

ذَكَرْتُ الْأَمْسَ ! فَالْتَفَتِي

رِيحُ اللَّيْلِ لَنْ تَنْشُدُ

وَلَنْ تَقْتُلَ أَحَدًا مِنِّي

فَكَمْ أَهْرَقْتُ مِنْ كَأْسٍ

وَكَمْ رَاوَدْتُ مِنْ حُلْمٍ

أَهَبْتُ بِهِ أَسْأَلُهُ

مَكَانَكَ أَيُّهَا الدَّهْرُ

فَكَيْفَ تَدُورُ فِي الدُّنْيَا

فَقَدْ دَارَيْتُ إِمْلَاقِي !

رَ عِنْدَ الْفَجْرِ أَوْرَاقِي

وَلَنْ تَقْضَحَ إِخْفَاقِي

وَكَمْ أَغْضَبْتُ مِنْ سَاقِي

سَرِيَّ اللَّمَحِ بَرَّاقِي

فَقَابَ وَرَاءَ أَحْدَاقِي !

فَلَنْ أَنْقُضَ مِثْاقِي

إِذَا ضَيَّعْتُ أَشْوَاقِي !

١٩٤٨

السبع الزائر

لا تُغمضي الجفنَ ولا تفرقي
لي النجمُ أَسْتَنْطِقُ أَسْرَارَهُ
لا تُغمضي الجفنَ ! فَإِنَّ الدجى
مواكبَ الزَّهْوِ، ودَفَقَ الهوى
والنَّجمُ كالْحُلْمِ : خَفِيَ الشَّرى
ناشِدَتُهُ الأَمْسَ ... وماذا لقي !
يا عينُ ! قد حُرْتُ وهذي الرؤى
إِخَالُهَا تَنْفُضُ أَطْيَافَهَا
يا عينُ ! هذا سَبَحٌ في الدجى
أَخَافُ أَنْ يَحْسَبَ بِي جَفْوَةً
فليس في لَيْلى ما أَتَّقِي
ولي طُروقُ الحُلْمِ الشَّيْقِ !
يَحْمِلُ من ماضيكِ ما قد بَقِيَ
وَأَنَّ المَعْتَدِجَ المُرْهَقِ !
قد غاب في الغيمِ ولم يَغْرَقِ
إِنْ كانَ قد راحَ .. فهل نَلْتَقِي ؟
تَقْدِفُ بِي في لُجَّهَا المَغْرَقِ
فوق حَبَابِ الأفقِ المَغْلَقِ !
يُومِيءُ أَنَّ هُبَّ ... فلا تَحْنَنِي
فِيتركُ الدارَ ولم يَنْطِقِ !

يا طيفُ ! من أنتَ ؟ وما غَضَبَةُ
قد هَدَأَ الليلُ .. فقلْ ما تشاء :
خرساء في ثغرك لم تُعْتَقِ ؟
والكونُ قد نامَ .. فمنَ تَتَقِي ؟

الشيخ

أَتَسْأَلُنِي ما أَسْمِي ولم أنا غاضِبُ
وقد أَدْرَكَتْ عيناكُ كُنْهَ تَجْهَمِي !!
أنا القَدَرُ القَاضِي ! وأنتَ الذي طَغى
فلم يَرْضَ بي رأيَ القضاءِ المُتَحَكِّمِ

أنا

أأنتَ ! أم الوحشُ الذي صيغَ عِرْقُهُ
من الألمِ الذَّبَّاحِ والدمعِ والدمِ
نَذوقُ على كَفِّكَ نَرْفَ جراحنا
ونَمزُجُ من فيك الزَّلالَ بِعَلَقِمِ !

الشيخ وأنا أداول الانصراف

مكانك يا هذا ! فلست بِمُبْصِرٍ

سواي أنا !

أنا بأنم

يا للقاء المحترم !

الشيخ

أتبكي !؟

أنا

أَجَلُ أَبْكِ ! وَأَبْكِ مَلَاوَةً

من العُمرِ لم تُزْهِرْ ولم تَتَنَعَّمْ

قَذَفْتُ بِهَا لِلظَامِئَاتِ مِنَ الرُّؤْيِ

فلم يُبْقِ مِنْهَا غَيْرَ بَعْضِ تَوَهُّمٍ

ظَنَنْتُ الزَّمانَ الْوَحْشَ يَذْهَبُ جَوْعُهُ

إِذَا هُوَ أَوْدَى بِالصَّبِّ الْمُتَقَدِّمِ

فَمَا نَالَهُ حَتَّى أَطَلَّ بِنَابُهُ

لِيَلْقَفَ أَنْفَاسِي وَيَنْثُرَ أَعْظُمِي !

الشيخ

أَتَبْكِي ؟ !

أَنَا

أَجَلُ أَبْكِي ! وَأَبْكِي عَلَى غَدِ

ذَبَحْتُ لَهُ عُمْرِي وَقُلْتُ لَهُ : أَنْعَمِ

سَأَقِطُ فَيْكَ الْأُمْنِيَّاتِ جَنِيَّةً

وَأَمْحُو بِرَاحَتِ النِّعَمِ تَجَهُّمِي !

الشبح

أتبكي ! وما يبكيك ؟

أنا

دهرٌ بلوثُهُ فكان لي الظُّفر الذي لم يُقَلِّم

وعهدٌ تنظَّرتُ النعيمَ خلاله

فلم أرَ فيه غيرَ برحٍ مُخيمٍ

ويأسٌ أذاقَ القلبَ ما قد أذاقه

وألْقَاهُ في جَوْفٍ من الأرضِ مُظلمٍ

وأصبحتُ في وادٍ تصرُّ رياحه

وتعصفُ بالعُشبِ الفتى المنعم

كأنَّ يداً هوجاءَ قصَّتْ غِراسَه

وأودَّتْ بساقيه الحفيَّ المتيم

أَقْلَبُ طَرْفِي فِي الْفُضَاءِ فَلَا أَرَى
سِوَى أَمَلٍ بَالٍ وَحُلْمٍ مُهْدَمٍ !

الشيخ

أَدُنْيَاكَ هَذَا ! يَا لَفَجْرِ طَمَسْتُهُ
وَكُنْتَ لَهُ فِي رِقْبَةٍ وَتَوَسَّمْ
لَقَدْ أَرْجَعْتَ كَفَّايَ كُلَّ غَمَامَةٍ
أَزَحْتَ ... وَكَادَتْ لِلصَّبَاحِ الْمُنْعَمِ !
حَنَانِيكَ ! إِنِّي لَا أَوَدُّ لَكَ الْأَذَى
حَنَانِيكَ ! إِنِّي لَا أَطِيقُ تَنْدُمِي
أَتُوبُ .. وَإِنْ لَمْ يُجِدِ تَوْبٌ وَلَا أَسَى
فَكُفَّ عَنِ الْيَأْسِ الْمَرِيرِ الْمُحْطَمِ

ولو كنت أدري أيَّ حسٍّ مُعَقَّدٍ
وأيَّ شعورٍ أنتَ .. لم أُرِم أسْهُمي !
ولكنني أترَعْتُ فاكَ مَرَارَةً
فيآلي من باغ عتيِّ مُذَمِّم !

❦ ❦ ❦ ❦ ❦

تَجُولُ في مَحْجَرِهِ الغائرِ	وَأَتَقَفَضَ الطيفُ ! فإِذْ دَمْعَةٌ
من لَدَعَاتِ النَّدَمِ الظَّافِرِ !	أَلْمَحُ في رَقَرِاقِهَا لَذْعَةٌ
في جَفْنِي المُسْتَسْلِمِ الحائرِ :	نَادَيْتُ .. واليأسُ يُعْمِتُ الرُّؤْيَ
عن عَتَبَاتِ الأَلَمِ القاهرِ	قد كنتُ ياطيفُ أَحَثُّ الخَطَى
وَأَنْزِعُ الكُدْرَةَ من خَاطِرِي	وَأَرْقُبُ الآمالَ فَيَاضَةً
والأَمْسُ لا يَرْجِعُ يا زائرِي !	لو كانَ للأَمْسِ لَنَا رَجْعَةٌ

١٩٤٨

للغنية بالله خيرة

يَدَايَ عَلَى الْوَتْرِ الطَّيِّعِ فَلَا تَنْفُرِي مِنْهُ أَوْ تَجْزَعِي
لَقَدْ أَسْكَنَتْهُ عَوَادِي الْحَيَاةِ وَشَلَّتْ نَوَائِبُهَا إِيصْبِي !
أَنَا تَائِهٌ فِي شِعَابِ الْوُجُودِ أَفْتَشُ عَنْ أَفْقٍ أَوْسَعِ
أَفْتَشُ عَنْ نَعِيمٍ لَا يَمُوتُ وَأَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ عَنْ مَضْجِعِ
أَقْرُبُ بِهِ مِنْ كَلَالِ الْحَيَاةِ وَأَنْجُو مِنَ الْعَدَمِ الْمُفْزِعِ !
أَسْكُتُ يَا لَيْلَ ؟ إِنَّ الضُّلُوعَ تَصُكُّ بِأَنَاتِهَا مِسْمَعِي
يُخَيِّلُ لِي أَنَّهَا تَسْتَعِيثُ بِنَبْرَةٍ بَالِكٍ وَمُسْتَضْرِعِ !
وَفِي شَفَاقِي بَقَايَا رُؤْيَى تَسَاوِقُ فِي نَعِيمٍ مُوجِعِ
أَوْدُهَا أَنْ تَتِمَّ الْحَيَاةُ عَلَى وَقْعِهَا الْأَسْرِ الْمُبْدِعِ

فَتَمْسِكُهَا غُصَّةً فِي الْفَوَادِ وَتَخْنُقُهَا فَوْرَةً الْأَذْمُجِ
وَأَكْتُمُهَا ! يَا لَظُّمِ الْقَضَاءِ وَأَزْجُرُهَا وَأَنَا لَا أَعْي !

أَلَيْلَايَ ! كَيْفَ تَقَرُّ الظُّنُونُ وَقَدْ تَفِدَ الْمَاءُ مِنْ أَرْبُعِي
هَوَايَ هَوَايَ مُنَى تَشْرَبُ فَيَقْتُلُهَا ظَمًا الْمُوضِعِ
تَقَرُّ إِلَى الْفَمِ تَشْكُو الْهَوَانَ فَتَرْجِعُ بِالرَّهَقِ الْمَفْجِعِ !
وَفِي كَبِدِي حَسْرَةٌ لَا تَقَرُّ وَلَكِنْ تُغَالِبُهَا أَضْلَعِي
تَكَادُ إِذَا أَضْطَرَمَّتْ فِي الْفَوَادِ تَصِيحُ بِهَا الْكَبْرِيَاءُ : أَرْجِعِي !
أَنَا اللَّيْلُ - يَا لَيْلَ - أَطْوِي الضَّلُوعَ عَلَى غَسَقِ دَامِسٍ مُفْزِعِ
تُعَرِّبُ فِيهِ ظِلَالُ الْجَحِيمِ وَتَرْحَمُ أَشْبَاحُهَا مَخْدَعِي
وَأَشْهَدُ فِي رُكْنِهِ الْمُدْلَهَمِّ مَصَارِعَ أَحْلَامِي الْهُجَّعِ
وَأُلْحُ أَشْوَاقِي الْبَاكِيَاتِ تَنُوحُ عَلَى قَلْبِي الْمَوْجَعِ

وَأَسْمَعُ فِيهِ أُحْتِضَارَ الْأَمَانِ
مَآسٍ أَكْبَلُهَا فِي الْفَوَادِ
تَفِيضُ بِهَا النَّفْسُ ! يَا لِلْخِصَمِّ
عَلَى صَخْرَةِ الْقَلْقِ الْمُفْطَعِ
وَيُطْلِقُهَا الْيَأْسُ فِي أَذْمُعِي
تَضِيقُ بِأَمْوَاجِهِ أَضْلُعِي !

* * *

وَإِنِّي لِأَسْعَى خِلَالَ الظَّلَامِ
أَهْدَهُدُ أَنْفَاسِي اللَّاهِثَاتِ
أَسْأَلُ دُنْيَايَ : فِيمَ الْحَيَاةِ
أَتَذْهَبُ أَيَّامُنَا الْبَاقِيَاتُ
فَرَاغٌ هُوَ الْعُمُرُ : لَا شَيْءَ فِيهِ
وَأَمْضِي إِلَى غَيْرِ مَا غَايَةٍ
إِلَى أَنْ تَفِيضَ بِي الذِّكْرِيَاتُ
وَأَسْمَعُ خَطْوَكَ كَالْأَغْنِيَاتِ
عَلَى ذَلِكَ الْجَدِّ الْمُسْرِعِ
وَأَهْزَأُ بِالزَّمَنِ الْمُسْرِعِ
وَمِمَّ نَخَافُ وَمَاذَا نَعِي ؟
أَلَمْ تَمُضْ قَبْلُ وَلَمْ تَجْزَعْ ؟
فَمَاذَا وَرَاءَ الْفُضَاءِ الدَّعِي ؟
وَأُصْنِي إِلَى الْكَوْكَبِ الْمُرْمِعِ
وَتَمَلَّأُ أَطْيَافَهَا مَذْمُعِي
عَلَى قَلْبِي الْمُرْهَقِ الْمَوْلَعِ

وَأُبْصِرْ مِلْءَ الرُّؤْيِ وَالْحَيَاةِ	خَيَالِكَ - يَا لَيْلَ - يَسْمَعُ مَعِي
يُكَفِّفُ عِبْرَاتِي الْجَارِيَاتِ	وَيَفْتَرُّ فِي وَجْهِ الْأَسْفَعِ
وَالْمَحُ فِي فَمِهِ بَسْمَةً	أَكَادُ أَكَلْمُهَا لَوْ تَعِي !
وَتَسْأَلُنِي شَفَتَاهُ الْمَزِيدَ	وَيَهْتِفُ بِي الْجَفْنُ : لَا تَقْنَعِ
فَأَمْسِكُ أَوْتَارِي النَّاحِبَاتِ	وَأَحْنُو عَلَى كِبْدِي المَوْجِعِ
لَأَنْثُرَهُ فِلْدَةً فِلْدَةً	وَأَصْدَحُ بِالنَّغْمِ الْمُتَمِّعِ !

١٩٤٨

قُبَيْلُ الدُّوَالِجِ

أَتَقْنَعُ بِالذِّكْرِ وَمَا كُنْتَ تَقْنَعُ
وَيَشْغَلُكَ الدَّهْرُ الْغَيْبُ فَتَخْنَعُ
وَتَأْمُلُ أَنَّ تَحْيَا وَقَدْ ذَهَبَ الصَّبَا
وَأَقْفَرَ قَلْبُ أَسْتِكَانٍ تَطْلُعُ !
أَتَقْنَعُ بِالذِّكْرِ وَقَدْ أَزِفَ النُّوَى
وَأَنَّ بِجَنَابِكَ الْفَوَادُ الْمُرَوِّعُ
حَيَاتُكَ أَوْهَامُ السَّرَابِ لَقِفْتَهَا
وَأَيُّ سَرَابٍ لَا يُشِيرُ وَيُخْدَعُ ؟
فَاضٍ تَقَرُّ الْعَيْنُ فِيهِ وَتَرْتَعُ
وَيَوْمَ يَنْوِي الْقَلْبُ مِنْهُ وَيَجْزَعُ

وما مِنْ غَدٍ ! إِنَّ الزمانَ الذي طَغى
أبى أَنْ يرى لي مِنْ غَدٍ يُتَوَقَّعُ !
مُنَاكَ طريقُ الرِّيحِ ، والمُمرُّ قَفَرَةٌ
ودَمْعُكَ فَيْضٌ ، والحِشاشَةُ بَلَقَعُ
تَحَدَّقُ في رُحْبِ الفضاءِ فلا تَرى
سوى الذِّكْرِ البَيْضِ التي تَتَطَلَّعُ
تُنازِعُنِي يَوْمِي ! فَتَنَّتَنِ الرُّؤى
وَيَبْزُرُ لي الأَمْسُ القَرِيبُ وَيَطْلُعُ
مَواكِبُ لَمْ يَسْلُ الفُؤَادُ جِلالَها
ولَمْ يَخْبُ شَوْقٌ أَوْ يَكْفُ تَوَلَّعُ
رَبِيعٌ أَتَيْتُهُ العَيْنُ في بَهْجَاتِهِ
وتَطْلُعُ فِيهِ الأُمْنِيَّاتُ وتُغْرِعُ

نَثَرْتُ عَلَى طَوْلِ الصَّرِيقِ مُفَاحَهُ
فَوَالْهَفْتَاهُ لَوْ يُعَادُ وَيُجْمَعُ !
خِيَالٌ مِنَ الْمَاضِي يَكَادُ إِذَا حَنَا
تَبَشُّ رُؤَاةُ مُنَّمٍ يَعْتَوُ فَيَرْجِعُ
يُعَمِّمُ بِالشَّوْقِ الْحَيْسَ وَيَغْتَلِي
فَتَطْفُرُ عِبْرَاتٌ وَتَخْفِقُ أَضْلَعُ !
نِدَائِهِ مِنَ الْأَعْمَاقِ يَحْفَلُ بِالرُّؤَى
وَيَدْفُقُ بِالشَّجْوِ الْعَمِيقِ وَيَنْبُغُ
يُصَوِّرُ مِنَ غُرِّ الْعُهُودِ الَّتِي مَضَتْ
صَحَائِفَ لَا تَبْلَى وَلَا تَتَصَدَّعُ
إِذَا رَمَقَتْهَا الْعَيْنُ أَذْهَلَهَا الْأَسَى
وَكَادَتْ مِنَ الشَّوْقِ الْمُلِحِّ تَقَطَّعُ !

فَدَيْتُكَ ! مَنْ يُنْجِي الرَّجَاءَ إِذَا قَضَىٰ
وَمَنْ يَغْرِسُ الْوُدَّ الْعَمِيقَ وَيَزْرَعُ
وَمَنْ يَجْتَنِي زَهَرَ الْحَيَاةِ إِذَا زَهَتْ
وَأَشْرَقَ فِي الرُّوضِ الرَّبِيعُ الْمُرْصَعُ ؟
ذَهَبْتَ وَقَدْ رَفَّتْ سَنَابِلُ حَقْلِنَا
فَعَاوَدَهَا يَيْسُ وَكَفَّ تَرَعْرُعُ
هِيَ الْيَوْمَ أَكْوَامٌ يَسُوقُ لَهَا الْأَسَى
فَرَاغُ اللَّيْلِ وَالنُّوْحُ الْمُرْجَعُ
تُبَعِّرُهَا رِيحُ الْخَرِيفِ إِذَا غَدَتْ
وَيَضْرِبُهَا اللَّيْلُ الْمَخُوفُ وَيَصْفَعُ
أَمْرُهَا أَسْوَانٌ مُعْتَلِجٌ الْحُشَا
فَأَسْمَعُ مِنْهَا فَوْقَ مَا كُنْتُ أَسْمَعُ

تُسَائِلُنِي وَالنَّارُ تَرْفُرُ فِي دَمِي
وَقَلْبِي مَجْنُونُ الرِّغَابِ مُوجَّعُ :
أَأُجْنِي بِلا ذَنْبٍ وَأُتْرَكُ فِي الْعَمَا
يُرَوِّعُنِي قُرٌّ وَتَنْشُرُ زَعَزَعُ ؛
زَرَعْتَ لِكِي تَجْنِي ! فَمَنْ لَمَسَ الثَّرَى
فَجَفَّتْ أَزَاهِيرُ وَمَاتَ تَضَوُّعُ ؛ !
حَيَاتِي ! أَنْتِ اللَّيْلُ أَجْزَعُ مَا بَدَا
وَأَنْتِ الْمَآسِي وَالْحِمَامُ الْمُقَنَّعُ
أَخَافُ إِذَا سَأَلْتُكَ الْجُبْنَ وَالرِّضَا
يَقَرَّانِ فِي النَّفْسِ الصَّبُورِ فَتَخَنَعُ
وَأَفَرَقُ مِنْ قَلْبٍ يُدِلِّحُ عَذَابُهُ
عَلَيْهِ .. فَلَا يَغْنُو وَلَا يَتَجَزَّعُ

يَفُتُّ تُرَابَ الْأَرْضِ كِي يَغْتَذِيَ بِهِ
وَيَكْرَعُ مِنْ فَيْضِ الدَّمْعِ وَيَجْرَعُ !
أَلَيْلَايَ ! لَا تُغْضِبْكَ أَنَّ خَافِقِ
يَكَادُ إِذَا مَرَّتْ بِهِ الرِّيحُ يَخْشَعُ
لَهَيْفِ الْحَشَا يَبْكِي إِذَا ذَكَرَ الصَّبَا
وَأَيُّقِنَنَّ أَنَّ الْعُمَرَ سَوْفَ يُضَيِّعُ
لَقَدْ سَلَبَتْهُ الْحَادِثَاتُ نَعِيمَهُ
وَأَيُّ نَعِيمٍ بَعْدَ حُبِّكَ يَنْفَعُ ؟
هَوَانَا وَلَيْدُنَا لَمْ يَمُوتْ وَإِنْ قَسَتْ
عَلَيْهِ اللَّيَالِي فَهُوَ يَقْظَانُ مُتَرَعُ
سَيَقْتَاتُ بِالذِّكْرِ إِذَا خَشِيَ الطَّوْىَ
وَيَهْصُرُ أَثْدَاءَ السَّمَاءِ فَيَرْضَعُ !

فؤادي قل لي من ملاذك في غد
إذا أسودَّ ليلٌ أو تَقَلَّقَلَ موضِعُ
ومن يلمسُ القلبَ الجريحَ براحه
فتخفتُ أناتٌ ويهدأ موجعُ ؛
غداً تَفْقِدُ الدنيا رُواءَ حياتها
فأيمَّ طريقٍ بعدها سوفَ تتبعُ ؛
ستَفْتَقِدُ النعمى وتَلْتَمِسُ الهدى
وتَصْرُخُ بالنجمِ البعيدِ وتَضْرَعُ
وترقبُ من ليلاك في حنائها
فلا أنتَ تَلْقَاهُ ولا الشوقُ يُدْفَعُ
تُسَائِلُ : لمْ بانتَ ولمْ أَرِفَ النوى ؛
ومن يدها تُعْطَى الحياةُ وتُمنعُ

رُؤْيَ كُنْتَ تَحْيَاهَا فَمَا أَنْتَ صَانِعُ
إِذَا مَا خَلَا مِنْهَا الْفَوَادُ الْمُوزَعُ ؟
وَكُنْتَ إِذَا مَا أَخْلَفْتُكَ لُبَانَةً
وَلَفَّكَ ضَافٍ مِنْ رُؤَاكَ مُفَزَّعُ
رَأَيْتَ سُكُونَ النَّفْسِ فِي نَظَرَاتِهَا
وَأَبْصَرْتَ رَكْبَ الْيَأْسِ كَيْفَ يُشَيِّعُ
وَكُنْتَ إِذَا لَاحَتْ تَبِلَّتْ مِنَ الْهَوَى
وَكُنْتَ مِنْ الْبَرْحِ الْمِضُّ تَصَدَّعُ
وَكُنْتَ وَكَانَتْ ! وَالْفِرَاقُ وَسَاوِسُ
يُرَاعُ لَهَا الْقَلْبُ الشَّجِيَّ وَيَجْزَعُ
وَقَدْ كُنْتَ تَبْكِي وَالْدِيَارُ قَرِيبَةً
فَكَيْفَ يَكُونُ الدَّمْعُ حِينَ تُودَّعُ ؟ !

١٩٤٨

على الطريق

وَقَفْتُ عَلَى الدَّرْبِ أَشْكُو الضَّجَرَ
 وَأَسْأَلُ عَنْ مَوْعِدٍ لِلْحَيَاةِ
 وَقَفْتُ ! فَيَا لِلطَّرِيقِ الْغَوِيِّ
 مَشَيْتُ عَلَى شَوْكِهِ فِي الظَّلَامِ
 لَقَدْ خَلَّفَ الْأَمْسُ فِي نَاطِرِي
 تَلَوْدُ الظُّنُونِ بِهَا وَالرَّجَاءِ
 فَأَقْدِمُ عَلَى الْفَوَادِ الشَّقِيَّ
 وَأُحْجِمُ عَنْهُ حِذَارَ الْغُرُوبِ
 فَلَاةٌ تَتِيهُ بِهَا مُقَلَّتَايَ
 أَخَافُ أَضِلُّ ! فَتَعْيَا الْخَطَى
 وَأَخْشَى الْمُضِيَّ وَأَخْشَى الْقَدَرَ
 أَوَدَّعُ فِيهِ ضَلَالَ الْبَشَرِ !
 يُذِلُّ الرِّقَابَ وَيُغْرِى الزُّمَرِ
 فَمِمَّ أَرَاغُ وَفِيمَ الْحَذَرِ ؟
 حُطَامَ مُنَى وَبَقَايَا ذِكْرٍ
 وَيَذْكُو الْأَوَارُ وَيَزْهُو الشَّرَرُ
 يُأْمِلُ مِنْ زَهْرِهِ مَا أَنْتَثَرَ
 يُبَدِّدُ تِلْكَ الرُّؤْيَى وَالصُّورَ !
 وَتَوَغَّلُ بِي فِي عُبَابِ الْفِكْرِ
 وَيَضْوِي الْإِهَابُ وَيَعْشَى الْبَصَرُ

ففي ناظري كهفة تشرئب
وفي شفتي زفرة تغتلي
تري هل أضعت الطريق السوي
أولي زمان المنى . والغناء
ومات الشدى في الربى واليفاع
أم القلب شاخ .. فما يزدهيه
وفي أضلعي مهجة تعتصر
وتبكي تفاولي المحتضر !
وأوغلت في ظلمات الكبر ؛
وأقفر درب الندى والزهر
وجاس الخريف خلال الشجر
نداء الحياة وزهو الظفر !

* * *

وقفت على الدرب منذ الصباح
وها قد ونيت وحل المساء
وما زلت أطوي سني العجاف
وما زلت ثم أمد اليدين
وما زلت أخشى عشار الطريق
وما زلت أستنطق العابرين
أجوب الثرى وأجيل النظر
وضاق الفضاء وغام البصر
وراء خيال شحيح حذر
وأصرخ : رب متى أستقر ؟
وأخشى الضجيج وأخشى القدر
وأرنو إلى الموعد المنتظر !

١٩٥٠

فهرس

٦٥ موعد من السماء	٧ لا تذكرى الشوك
٦٨ من الأعماق	١١ دعي لي الذكريات
٧٢ هباء	١٦ انتظار
٧٩ في لهيب الذكري	١٨ أقوى من اليأس
٨٥ قلق	٢٥ غفران
٨٨ ورقة ذابلة	٢٨ بقايا سراب
٩٢ فراق	٣٢ حرمان
٩٦ العودة	٣٤ أخاف أن أنسى
١٠٠ زفرة يأس	٣٧ كيف أنسى
١٠٤ أشواق	٤٠ أنات
١٠٦ الشبح الزائر	٤٥ ماذا بقي
١١٣ الأغنية الأخيرة	٥٠ سأم
١١٧ قبيل الوداع	٥٩ في الليل
١٢٥ على الطريق	٦٣ رقيقة